مسلمية

الأديب

مقدمة

قد لا أكون مسرفاً إذا قلت إن أدبا لم يهاجم في العصر الحديث كما هوجم ويهاجم « الأدب الإسلامي » ، ابتداء بالمصطلح، ومرورا بالإبداع والتنظير والتقعيد، وانتهاء بممارسيه ومبدعيه والداعين إليه الذين اتهموا بالعصابية،والانفعالية، وضعف الإبداع، والدعوة إلى التفرقة والفتنة، وسطحية التقييم، وانعدام النظرة الشمولية ... الخ .

أما الأدب الإسلامي ذاته فيطرح الهاجمون والمعترضون رفضهم له في المقولات الآتية :

١ - مصطلح الأدب الإسلامي بدعة مستحدثة لم يعرفها الأسلاف من الشعراء والأدباء .

٢ - وهو مصطلح منفوش متسيب المعالم، مفتقر إلى التحديد، وطبيعته لاتسمح بمثل هذا التحديد .

٣ - وتوظيفه والأخذ به يوقع أصحابه في حرج أليم ، لأنهم سيواجهون أدبا ذا قيمة إنسانية وأخلاقية رفيعة من بعض الشعر الجاهلي الذي نظمه وثنيون عبدة أصنام، وكذلك في كل العصور من إبداع مسيحيين ويهود وعبدة بقر .

٤ - ومنطوق هذا المصطلح يستلزم - بمفهوم المخالفة أن يحكم على « الأدب الآخر » بأنه « أدب كافر »، وقد يتضخم الانفعال فيحكم كذلك على أصحابه بالكفر.

٥ - والدعوة للأدب الإسلامي جاءت « كرد فعل » عصابي أعشى للمذاهب الأدبية الغربية كالكلاسيكية والرومانسية والواقعية، وللآداب الأجنبية كالأدب الشيوعي، والأدب الوجودي .. ألخ

٦ - وهي دعوة ستؤدي إلى وأد رصيدنا الضخم من الأدب الجاهلي وغيره

من الإبداع الذي يخالف منظور الداعين إلى الأدب الجاهلي، وغيره من الإبداع الذي يخالف منظور الداعين إلى الأدب الإسلامي .

٧ - كما أنها ستسقط من معجم تاريخنا الأدبي شعراء كأبي نواس وبشار بن برد، ومن في شعرهم حظ كبير من الغزل والمجون .

٨ - وأنها دعوة وعظية تجافي روح الفن، ومكانها الطبيعي منابر المساجد ، وقاعات المجمعات الدينية .

٩ - وأنها دعوة - لونجحت لأفسدت أذواق المتلقين، وجففت إحساسهم بالفن والجمال .

١٠- وأنها دعوة تؤدي إلي نهوض دعوات وتجمعات أدبية تعصبية من أدباء الأديان والأيديولوجيات الأخرى .

١١- وأنها دعوة ستؤدي إلي تفريق أبناء الأمة العربية الواحدة على أساس «دينية الأدب» بمفهوم عقدي حاد، فالأمة العربية تضم أقليات من الملل الأخرى، لها أدباؤها ونقادها وشعراؤها .

١٢- على أن إبداع الإسلاميين - من ناحية الكم - لايمثل - حتى الآن ملامح مدرسة، أو معالم فارقة لتيار أدبي متميز . أما من ناحية الكيف فهو يعطي اهتمامه الأول في التركيز على الموضوعية والفكرانية الإسلامية في أداء تعبيري تقريري، وكل أولئك على حساب الجماليات والقيم الفنية .

ويخلص الهاجمون المعترضون بعد طرح هذه النقائص أو المثالب - من وجهة نظرهم - إلى طرح سؤالهم الاستنكاري المعهود :

فلماذا الأدب الإسلامي إذن ؟ ولماذا الدعوة إلى مثل هذا الأدب ونحن عرب وأدبنا عربي ؟

* * *

وقد تكفل الأدباء والنقاد الإسلاميون بدحض هذه الاعتراضات في مقالات وبحوث وكتب متعددة ، وجاءت هذه الردود - في وضعيتها الزمانية - بعد إثارة هذه الاعتراضات ونشرها، وهذا ترتيب طبيعي زمنيا . ولكن الذي يشد النظر، ويدعو إلى العجب حقا أن أغلب هذه الاعتراضات والشبهات نجد مايردها، بل ينسفها في كتابات سابقة عليها بعشرات السنين - على فترات متفاوتة .

وذلك في مقالات ودراسات وكتب لدعاة الأدب الإسلامي مثل سيد قطب ومحمد قطب وعبد الرحن الباشا ونجيب الكيلاني وعماد الدين خليل ومحمد حسن بريغش وعبد الباسط بدر وعمر الأميري وغيرهم .

كما أن الإبداعات الإسلامية في مجالات الشعر والقصة والرواية والتنظير بلغت درجة طيبة جدا من النضج، وكتب فيها أطروحات أكاديمية حصل بها الدارسون على درجات الماجستير والدكتوراه .

فثوران هذه الاعتراضات- مع أن إجاباتها الحاسمة موجودة مسبقا في طروحات الإسلاميين كما ذكرنا - يقودنا إلى حقيقة مؤلمة ومخزية في الوقت نفسه، وهي أن الذين يهاجمون ويعترضون لم يقرءوا ماكتبه الإسلاميون من تنظيرات أو مقدمات ومداخل لتنظيرات وتقعيدات للأدب الإسلامي، ولو قرءوها - بعين بصيرة، وفكر مفتوح - لما أثاروا هذه الشبهات والاعتراضات، لأن فيها الجواب الشافي لمن أراد .

كما أؤكد أنهم لم يقرءوا من إبداعات الإسلاميين إلا القليل، بل أقل القليل. وأكاد أؤكد كذلك أنهم لم يطلع بعضهم على اعتراضات بعضهم الآخر . ومن باب أولى على مانكتبه من نقض لهذه الاعتراضات، بدليل أن هذه الاعتراضات بعينها تتكرر كثيرا، وإن اختلفت في أدائها التعبيري، حتى أصبحت من كثرة تكرارها تثير الملالة بل الغثيان . ولكنهم مازالوا يتشبثون بسؤالهم الاستنكاري : لماذا الأدب الإسلامي ؟ !

وحتى لا يطول ، أو يتطاول ، بنا حبل الجدل : نقول - نحن الكتاب الاسلاميين - إننا أحق بأن نسأل هؤلاء المعترضين : بل لماذا الأدب اللا إسلامي ؟!! وذلك لأن الأصيل في أرضه وسكنه ، وبين أهله لا يُسأل عن سبب وجوده في موقعه هذا ، بل يُسأل الطاريء الدخيل ، لأنه شذوذ هبط - بفعل فاعل غير سويٍّ - في غفلة أو تهاون من الأصلاء .

واستقراء التاريخ يقطع بأن الأدب الإسلامي ولد مع مبعث النبي صلى الله عليه وسلم ، ونهل من القرآن والسنة والقيم الإسلامية العليا ، وسبقه رصيد طيب في العصر الجاهلي مما نسميه " بأدب الفطرة الإنسانية " ، كبعض شعر لبيد والأعشى وزهير بن أبي سلمى . وامتد الأدب الإسلامي امتداده الحميد من

عهد النبوة إلى وقتنا الحاضر ، مرورا بالعصور : الأموي والعباسي والمملوكي والتركي . وكان الأدب الإسلامي - كظاهرة رئيسية في حياة الأمة العربية يزداد توهجا وقت الأزمات والنكبات وإعلان الجهاد ، والدعوة إلى القيم الرفيعة ، فكان هو الأقوى حضورا ، وإن لم يكن الأعلى صوتا في بعض الفترات، وذلك لسبب لا يرجع إلى طبيعته ، ولكن إلى بعض المؤرخين الذين وجهوا أقلامهم لرصد آداب القصور والعواصم دون غيرها من القرى والصحراء مما أعطى انطباعا واهما بأن عصرا كالعصر العباسي كان عصر تهتك وسقوط ودعارة أدبية ، وروج لهذه الأكذوبة كثير من المستشرقين ومن والاهم وسار على دربهم من تلاميذهم العرب . فسلط هؤلاء الأضواء المكثفة الباهرة على أمثال أبي نواس وبشار بن برد ، وأغفلوا شعراء القيم والأخلاقيات من أمثال أبي محمد اليزيدي وكلثوم العتابي ، ويعقوب الخريمي ، وابن الخبازة ، وسلمة بن عياش .

* * *

إن الأمة الإسلامية - في وقتنا الحاضر - تعيش في طوفان من النكبات ، وهي تواجه الآن أضرى الأعداء : الصهيونية العالمية . والصليبية ، وحركات التنصير ، والاختراقات الإسرائيلية ، وجهود العلمانيين والحداثيين والملاحدة . ومع اشتداد هذه النكبات والمآسي انبثقت صحوتان : صحوة فكرية يسرى في أعطافها عاطفة إسلامية إيمانية قوية ، وصحوة نضالية تتمثل في الانتفاضة الجهادية في فلسطين وكشمير والفيلبين وغيرها .

ومن ثم كان لابد من صحوة أدبية تستمد الإسلام والقيم الإنسانية العليا، وتصل أدب آخر هذه الأمة بأدب أولها ، وقد تمثلت هذه الصحوة في الأدب الإسلامي . وبها تستكمل هذه " الثلاثية الحميدة " وجودها الحي المنتج الفاعل في مجالات :الفكر ، والجهاد والأدب . أو العقل والسيف والقلم .

والأدب الإسلامي واسع المدى ، رحب الآفاق ، فهو لايحجر على الإبداعات التي توافقه ، ولا تصطدم بقيمة ومثالياته ، ولو كان المبدعون من غير المسلمين لأنها إبداعات " موافقة " أو " محايدة " . ويصدق هذا المعيار على إبداعات العقول والقرائح على مدار التاريخ الإنساني كله : من وصف الطبيعة ، وتصوير النفوس والغزل العفيف والرثاء المنصف والنقد البناء ... إلخ . فلم يبق إذن إلا الأدب الساقط الماجن من خمريات وفحشيات ، ونفاقيات ، وهذا ما يرفضه

الإسلام والأدب الإسلامي ، بل ترفضه الفطرة السليمة ، وقد قرأنا أن بعض الجاهليين حرموا على أنفسهم الخمر بمقولة " ما كنت بالأحمق حتى أستر عقلي بيدي " . وهذا الأدب الساقط يؤدي ولا شك - إلى تخريب عقول الشباب وتدمير أخلاقيات الشعوب ، وفي هذا المقام نذكر قول "ديورانت" إن وراء انهيار كثير من الحضارات عاملا رئيسيا واحدا اسمه خراب الأخلاق والعقول " .

وعودا على بدء : أقول إن على مثيري الشغب والاعتراضات على " الأدب الإسلامي " قبل أن يسألونا : لماذا الأدب الإسلامي ؟ أن يسألوا أنفسهم - قبل أن نسألهم : لماذا الأدب اللا إسلامي ؟ لأننا نستصحب الأدب الأصيل الجليل ، أما هم فيستصحبون الطارىء الدخيل .والبقاء للأصلح وإن طال الأمد .

* * *

نعم نحن - دعاة الأدب الإسلامي - نصاحب هذا الأصل الكريم الذي يحمل عبق النبوة والصحابة وجهاد السلف الصالح بالكلمة التقية النقية النافذة ونتخذ من الكلمة القرآنية سلاحاً من أسلحة الجهاد الشريف عملا بتوجيه رب العزة لنبيه مشيرا إلى القرآن الكريم (وجاهدهم به جهادا كبيرا) ، وإيمانا مني بجلال هذا «الجهاد الفكري» أقدم هذه الورقات المتواضعات التي اصطلح على تسميتها بحثا، واتخذت لها عنوانا هو :

مسلمية الأديب شرطا لإسلامية الأدب

(رؤية نقدية في حضور المصطلح والأدب الآخر)

والعنوان بهيئته هذه في حاجة إلى تفتيح أو توضيح أوجزه في النقاط الآتية .

(١) المنطوق الرئيسي للعنوان يعني اشتراط أن يكون الأديب - وهو هنا يقصد به المبدع أو الناص - مسلما حتى ينتسب إبداعه إلى «الأدب الإسلامي» .

٢ - آثرت كلمة « المسلمية » وصفا للأديب على كلمة «الإسلامية» لعدة أسباب هي :

أ - أنني أقصد «الدين» في مفهومه النوعي لا أبعاده القيمية، كقولنا هذا مسلم وهذا مسيحي وهذا يهودي، أو بتعبير آخر أقصد المسلم «بالهوية» بصرف النظر عن الجانب السلوكي .

ب - أن وصف الشخص بـ «الإسلامي» أصبح له وقتنا الحاضر دلالة عرفية تجعل الوصف مقابلا للعلمانية فيقال هذا «اسلامي» أما ذاك فعلماني . وأصبحت الكلمة - للأسف - في بعض المجتمعات ، أو في طبقات معينة منها -وغالباً ماتكون رسمية - تعطي إيحاء بالتمردية والإرهاب والتطرف .

٢ - لم أجعل كلمة «شرط» بالرفع في موقع (الخبرية) لأن هذا الوضع سيوحي بأن القضية «محسومة» ، مع أنها مازالت جدلية حتى الآن، وإن كانت تقترب -إلى حد كبير- من الحسم بمرور الزمن . واستخدام كلمة «شرط» منصوبة تفتح الباب بل تحرض تحريضاً «حميداً» لإبداء الرأي في اشتراط كون الأديب مسلما حتى يوصف أدبه بأنه إسلامي .

* * *

وما قدمته في هذه الورقات لايعني أكثر من رؤية - أمل أن تكون بصيرة - لأبعاد هذه القضية بحثا عن حل أو علاج يقربنا من الحسم أو مايشابه الحسم .

وقد جاء البحث في فصول أربعة :

عايشنا في الفصل الأول مصطلح الأدب الإسلامي والتعريفات المتعددة لهذا المصطلح من المشتغلين والمنظرين لهذا الأدب، وقمنا بعقد موازنة موجزة بين هذه التعريفات خلوصا إلى خطوط الاختلاف ومواضع الالتقاء .

واستحضرنا في الفصل الثاني «الأدب الآخر» الأدب المذهبي الأيديولوجي والأدب الديني : فقد قدمنا صورة موجزة جدا للأدب الشيوعي لأن هذا الأدب وماتولد عنه من أدب اشتراكي وأدب الواقعية الاشتراكية معروف ومشهور، وقدمنا حديثا وسيطا من عدة صفحات عن الأدب الوجودي ، وكانت وقفتنا أطول مع لونين من الأدب لم ينالا اهتماما من دعاة الأدب الإسلامي والمنظرين له وهما الأدب المسيحي والأدب الصهيوني، وكشفت عن ملامح هذين الأدبين ومكان كل منهما في مجال الفكر والثقافة والأهداف التي يتغياها كل منهما .

وبذلك عشنا في الفصلين الأول والثاني أمام حضورين :

- حضور الأدب الإسلامي
- وحضور الآداب الأخرى التي تمثل جبهة رفض عاتية لا للأدب الإسلامي فحسب ولكن لكل ماهو إسلامي ، ومن فضول القول أن أذكر أن فيالق هذه الجبهة الرباعية تملك من الإمكانات المادية والإعلامية مايقتضي دعم «الأدب الإسلامي»

من الشعوب والحكومات حفاظا على هوية أمتنا وميراثها الأدبي والفكري ووقاية لأخلاقنا وثقافتنا من الاختراق الخبيث .

وتلتقي هذه الآداب الأخرى على وحدة «الكيان العقدي» بين الأديب والإبداع . فالإبداعات الوجودية يفرزها وجوديون أوفياء لوجوديتهم . والإبداعات الصهيونية يقدمها أدباء يهود صهاينة مؤمنون بصهيونيتهم . فليس من قبيل التعصب إذن أن نصر على «مسلمية الأديب» حتى يدخل أدبه تحت مظلة الأدب الإسلامي .

وجاء الفصل الثالث بعنوان «المسلمية شرطا» ، وقد أبنت فيه مدى الالتحام بين « النص والناص » ، وخطأ من يعتد «بالقول» لا القائل، وعن طبيعة الالتزام الإسلامي بالمفهوم السوي، ومفهوم التصور الإسلامي الذي يستحيل أن يكون في صورته المثلى إلا من «مسلم» ، وختمت الفصل ببيان «حدود المسلمية» التي تعطينا حق الحكم على الأدب بالإسلامية .

* * *

وكان الفصل الرابع وهو الأخير بعنوان (اسلامي ولا مسلم ؟) وقد عالج قضية توصيف الأدب الذي استوفى كل عناصر الأدب الإسلامي ولكنه صادر من غير مسلم ، وقد اختلفت آراء الإسلاميين في تصنيفه وتوصيفه، ثم يسر الله للناقد المغربي الأستاذ محمد العروي أن يطلق عليه (الأدب الكادي) ورأيتني عن قناعة واقتناع أضم صوتي إليه، وأدعو معه إلى هذا المصطلح الجديد الموفق ، وإن كنت أرى أن يقتصر هذا الإطلاق على أدب غير المسلمين بحيث لايتعدى إلى أدب المسلمين «المنحرفين» - على تفصيل قدمته في الفصل .

واعتزازا بهذا المصطلح الجديد (الأدب الكادي) ختمت هذا الفصل الأخير بنماذج لهذا الأدب وذلك بقصائد طويلة لكل من الشاعر الألماني «جوته» والشاعر اللبناني خليل مطران والشاعر اللبناني المهجري ايليا أبي ماضي .

وأخيرا آمل أن أكون قد وفقت إلى الصواب فيما قدمت. والله ولي التوفيق ، وهو نعم المولى ونعم النصير .

د. جابر قميحة

ذو الحجة ١٤١٨ـ مارس ١٩٩٨

الفصل الأول

في حضور مصطلح الأدب الإسلامي

في حضور المصطلح

ابتداء علينا - منعا للبس - أن نفرق بين :

- الأدب الإسلامي .

- وأدب العصر الإسلامي .

فأدب العصر الإسلامي : له مفهومه التاريخي : فهو ذلك الأدب - الشعري والنثري - الذي يمتد من بعثة الرسول - صلى الله عليه وسلم - إلى سقوط الدولة الأموية . وبعض مؤرخي الأدب يقسم هذا العصر الأدبي إلى عصرين :

- عصر صدر الإسلام : وهو ينتهي بانتهاء الخلافة الراشدة بمقتل علي ابن أبي طالب - كرم الله وجهه .

- والعصر الأموي : ويبدأ بخلافة معاوية ، وينتهي سنة ١٣٢هـ لتقوم دولة جديدة هي الدولة العباسية .

* * *

أما الأدب الإسلامي ، فسنعرف مفهومه من التعريفات التي طرحها المنَظرون له ، وبعض المبدعين في نطاق هذا الأدب :

- وبعض هذه التعريفات جاء بالسلب والإيجاب : أي ينفي عن الأدب الإسلامي ما ليس منه ، وما لا يتصف به ، ويثبت له مايميزه من أبعاد وسمات. وقد يأتي نفي ما ليس فيه ومنه قبل التعريف الإثباتي أو بعده .

- وبعضها الثاني جاء بالإثبات والإيجاب فقط .

- وبعضها جاء على سبيل الإيجاز .

- وبعضها جاء مفصلا إلى حد ما .

وكل أولئك سنراه في التعريفات الآتية :

١ - سيد قطب :

الأدب الإسلامي هو التعبير الناشيء عن امتلاء النفس بالمشاعر الإسلامية. [١]

٢ - محمد قطب :

الأدب الإسلامي هو الفن الذي يرسم صورة الوجود من زاوية التصور الإسلامي لهذا الوجود . هو التعبير الجميل عن الكون والحياة والإنسان من خلال تصور الإسلام للكون والحياة والإنسان . [٢]

٣ - محمد الحسناوي [٣]

الأدب الإسلامي هو التعبير الموحي عن قيم الإسلام الحية التي ينفعل بها المسلم ، وتنبثق عن تصور الإسلام للحياة . والارتباطات فيها بين الإنسان والله تعالى ، وبين الإنسان والكون وبين بعض بني الإنسان وبعض . [٤]

٤ - د. عبدالرحمن رأفت الباشا :

الأدب الإسلامي هو التعبير الفني الهادف عن وقع الحياة والكون والإنسان على وجدان الأديب تعبيرا ينبع من التصور الإسلامي للخالق - عز وجل - ومخلوقاته [٥] ولا يجافي القيم الإسلامية [٦]

٥ - محمد المجذوب :

الأدب الإسلامي هو الفن المصور للشخصية الإنسانية من خلال الكلمة المؤثرة . [٧]

---

(١) سيد قطب : في التاريخ فكرة ومنهاج ٢٨

(٢) محمد قطب : منهج الفن الإسلامي ٦ - وقبل هذه السطور عرف الأدب الإسلامي سلبا بأنه ليس هو الفن الذي يتحدث عن الإسلام . أو الوعظ المباشر والحث على اتباع الفضائل . وليس هو كذلك حقائق العقيدة المجددة مبلورة في صورة فلسفية .
وانظر نقد نجيب الكيلاني لهذا التعريف ، ولكتاب الأستاذ محمد قطب " منهج الفن الإسلامي " في ص ٧ من كتابه : الإسلامية والمذاهب الأدبية .

(٣) في الأدب والأدب الإسلامي ٥ .
وهو يعرفه سلبا بأنه ليس أدب صدر الإسلام المعروف تاريخيا وحده . ولا الأدب الذي كتب في ظل العصور الإسلامية جميعا دون تمييز . ولا الأدب الذي يدور حول موضوعات إسلامية . ولا أدب المواعظ .
وواضح ما في هذا النفي مما يشبه مقولات محمد قطب التي عرضناها سابقا .

(٤) محمد الحسناوي : في الأدب والأدب الإسلامي ٥ .

(٥) د. الباشا : نحو مذهب إسلامي في الأدب والنقد ٩٢

(٦) مجلة البعث الإسلامي (الهند) عدد رمضان وشوال ١٤٠١هـ ص ٦٨ . نقلا عن كتاب الدكتور الباشا السابق ص ٩٢.

(٧) المجلة السابقة (نقلا عن كتاب محمد بريغش : الأدب الإسلامي أصوله وسماته ص ١٠٧) .

٦ - محمد حسن بريغش :

الأدب الإسلامي هو التعبير الفني الجميل للأديب المسلم عن تجربته في الحياة ، من خلال التصور الإسلامي .(١)

٧ - د. محمد عادل الهاشمي :

الأدب الإسلامي : تعبير جميل عن حقائق التصور الإسلامي من كون وحياة وإنسان وقيم ومثل وغاية وجود ، تتسع موضوعاته لقضايا الحياة والوجود كافة .(٢)

٨ - د. الطاهر محمد علي :

الأدب الإسلامي هو الفن الراقي الذي يعبر عنه الأديب في تجربة شخصية، على أن تكون غايات الأديب قائمة على التصور الإسلامي للإنسان والحياة والكون .(٣)

٩ - د. نجيب الكيلاني :

الأدب الإسلامي تعبير فني جميل مؤثر ، نابع من ذات مؤمنة ، مترجم عن الحياة والإنسان والكون ، وفق الأسس العقائدية للمسلم ، وباعث للمتعة والمنفعة، ومحرك للوجدان والفكر ، ومحفز لاتخاذ موقف، والقيام بنشاط ما .(٤)

١٠ - د. عماد الدين خليل :

الأدب الإسلامي تعبير جمالي مؤثر بالكلمة عن التصور الإسلامي للوجود.(٥)

١١ - د. عدنان النحوي :

وله تعريفان : موجز ومفصل :

التعريف الموجز :

---

(١) محمد بريفش : السابق ١١٤.
(٢) الهاشمي : في الأدب الإسلامي : تجارب ومواقف ٣٧ .
(٣) الملامح العامة لنظرية الأدب الإسلامي ٩٨
(٤) الكيلاني : مدخل إلى الأدب الإسلامي ٣٦
(٥) د. عماد : مدخل إلى نظرية الأدب الإسلامي ٦٩ وفي تحليل الكاتب لهذا التعريف يرى أنه لايصدق على :
١ - الشروح غير الفنية لجانب من جوانب الإسلام تصورا أو سلوكا .
٢ - العرض الفني الجميل المؤثر الذي لايصدر عن التصور الإسلامي، ولا يمسه من قريب أو بعيد .
٣ - مايتضمن معطيات جمالية مؤثرة بأداء غير الكلمة كالريشة والآلة الموسيقية والأزميل (أي الرسم والمسيقا والنحت)
٤ - التعبير الجميل عن الإسلام الذي لايملك قدرته على التوصيل أو التأثير لأنه لايتجاوز الشكل إلى المضمون، ولايعدو أن يكون زخرفا من القول . [السابق : نفس الصحفة]

الأدب الإسلامي : هو فن التعبير باللغة : يحمل خصائص الفن (السابقة) وله عناصره الفنية الخاصة به .[(١)]

التعريف المفصل :

الأدب الإسلامي هو ومضة التفاعل بين الفكر والعاطفة ، في فطرة الإنسان، مع حادثة أو أحداث ، حين تدفع الموهبة الأدبية هذه الومضة موضوعا فنيا، ينطلق على أسلوب التعبير باللغة ، ممتدا في أغوار النفس الإنسانية ، والحياة والكون والدنيا والآخرة مع عناصره الفنية التي يهب كل منها الأسلوب قدرا من الجمال الفني ، ليشارك الأدب الأمة في تحقيق أهدافها الإيمانية الثابتة والمرحلية ، وليساهم في عمارة الأرض ، وبناء حضارة إيمانية طاهرة ، وحياة إنسانية نظيفة . وهو يخضع في ذلك كلة لمنهاج الله الحق المتكامل قرآنا وسنة.[(٢)]

١٢ - تعريف رابطة الأدب الإسلامي العالمية :

- الأدب الإسلامي هو التعبير الفني الهادف عن الإنسان والحياة والكون في حدود التصور الإسلامي لها .[(٣)]

- الأدب الإسلامي هو التعبير الفني الهادف عن الحياة والكون والإنسان وفق الكتابة والسنة .[(٤)]

* * *

لقد تعمدت أن أرصد ما وصلت إليه قراءاتي من تعريفات للأدب الإسلامي حتى نكون على بينة من الطريق الذي نسير فيه ، وندعو الآخرين إليه ، وحتى

---

(١) النحوي : الأدب الإسلامي إنسانيته وعالميته ٧٦ .
والعناصر التي أشار إليها الكاتب في هذا التعريف هي :
١ - أنه أدب عقيدة
٢- وأنه أدب الواقع الذي يراه الأديب من خلال هذه العقيدة
٣ - وأنه أدب العلم
٤ - وأنه أدب اجيال ممتدة
٥ - وأنه أدب عزيز لايذل
٦ - وأنه أدب مجاهد له نهجه وأهدافه
٧ - وأن لغته هي اللغة العربية
٨ - وأنه أدب نام متطور .
[انظر السباق ٣٤ - ٣٩]

(٢) النحوي : السابق ٧٦ - ٧٧

(٣) ص ٩ من نشرة رابطةالأدب الإسلامي العالمية ط (١) ١٤٠٩

(٤) ص ٢٣ من النظاما لأساسي لرابطة الأدب الإسلامي ط (٢) ١٤١٣ .
هذا ومن الذين كتبوا عن الأدب الإسلامي من اعتمد تعريف محمد قطب كالدكتور أحمد محمد علي في كتاب القيم (الأدب الإسلامي ضرورة) : فهو تعريف المثالي في نظره وإن قدم له بأن نفي عن الأدب الإسلامي طوابع وسمات هو برئ منها ، فهو ليس أدبا لغويا ولاقويما ولا وطنيا ، وليس موضوع ولازمان بعينه ، وذلك على تفصيل طيب (انظر ص ٦٢ - ٦٣) .

نعي - ببصيرة واعية مدى مصداقية ما يوجه إلى الأدب الإسلامي - اصطلاحا وتعريفا وطروحا وتنظيرات - من نقود واعتراضات .

وتجاه هذه التعريفات نلاحظ ما يأتي :

١ - كان تعريف الشهيد سيد قطب - رحمه الله - هو أشدها إيجازا وتقطيرا . وقد يرجع ذلك إلى أنه شخصيا كان يوجه أغلب جهوده للإبداع .

٢ - يكاد يكون تعريف الأستاذ محمد قطب للأدب الإسلامي هو أصل هذه التعريفات ، ويكاد يمثل الجوهر واللباب للتعريفات التي توالت بعد ذلك . كما أن كتابة (منهج الفن الإسلامي) يعد عمدة في موضوعه ، وإن تعرض لنقد طويل من بعض الكتاب ، كما تعرض أيضا لنقد من بعض الإسلاميين .[(١)]

٣ - كان تعريف الأستاذ محمد قطب "للفن" - لا للأدب - لكن السياق يوحي بأنه يقصد الأدب بكلمة الفن ، لأنه جعل وسيلة الإبانة عنه هي التعبير .

وحتى لو فسرنا التعبير بمفهومه الواسع الذي يتجاوز الإبانة بالكلمة إلى أدوات أخرى كالريشة والفرشاة والأزميل، فإن ذلك لن يغير من الواقع شيئاً، لأن الأدب - شعره ونثره - من أهم ألوان الفن، إن لم يكن أهمها .

(٤) تعريف الأساتذ بريغش (رقم ٦) هو التعريف الوحيد الذي اشترط صراحة أن يكون المبدع الإسلامي مسلم الديانة وهذا لاينفي أن إسلامية المبدع مفهومة ضمنا من أغلب التعريفات السابقة .

واشتراط « **إسلام المبدع** » صراحة هنا تحسم الحكم في الإبداع ذي

---

(١) مع اعتراف د. نجيب الكيلاني بأن هذا الكتاب « ملأ فراغ هائلا في الدراسات الإسلامية، وأدى خدمة جليلة للفن والدين - على حد سواء » . نراه يأخذ عليه : أنه لم يهتم بالدراسات المقارنة بين المذاهب الأدبية الأجنبية مثل الكلاسيكية والواقعية الاشتراكية والوجودية والاتجاه الإسلامي في النقد والأدب (انظر د. الكيلاني : رحلتي مع الأدب الرسلامي ٢١٣)
ويأخذ عليه كذلك أنه لم يقم بعملية مسح أدبي يحصر فيها مايسمى (بالأدب الإسلامي) في القديم والحديث، سواء في عالم القصة أو المسرحية أو الشعر، وأنه لم يستشهد إلا بنماذج قليلة من الأدب العربي والإسلامي.
" ومن ثم استشهد ببعض انتاج لطاغور ، والكاتب المسرحي الإيرلندي سينج، وهما غير مسلمين » ، وأنه لم يشر بكلمة إلى رجال لهم مكانتهم الأدبية في أدبنا مثل الرافعي وشوقي وحافظ وباكثير ومحرم وتوفيق الحكيم . وأخيرا يأخذ عليه أن الجانب الأكبر في الكتاب كان دينا أكثر منه فنا » .
[الكيلاني : الإسلامية والمذاهب الأدبية ٦ - ٧]
وقد نتفق مع الناقد في بعض هذه المآخذ، ولكن الذي نخالفه فيه تماما هذا المأخذ الأخير، ولانعرف الأساس الذي اعتمد عليه الكيلاني في هذا التفريق بين الدين والفن أو الأدب . مع أن الكيلاني عقد في كتابه المذكور فصلا قيما بعنوان (الدين والفن) من ص ١١-١٩ ، تحدث فيه عن حقيقة كل منهما وقوة الوشائج التي تربط بينهما منذ فجر التاريخ وكتاب الأساتذ قطب كان ينبج هذا المنهج على نحو أرحب وأوفى .

المواصفات الإسلامية - الذي يصدر من غير مسلم ، وهو ماسماه الكاتب بالأدب المحايد أو أدب الفطرة السوية [(١)] .

(٥) بصرف النظر عن جنوح بعض هذه التعريفات إلى الإيجاز، وبعضها إلى التفصيل ، يكاد يكون تعريف الدكتور رأفت الباشا هو أعمرها بالاهتمام بالجانب الوجداني أو التأثير العاطفي للموضوع الأدبي : فالأدب الإسلامي تعبير عن (وَقْع) الموضوع على (وجدان) الأديب، ومن ثم لايكفي مجرد التصوير ولو كان جماليا . فشخصية الأديب، وتوهجه الوجداني - كما يظهر من التعريف - لهما أهمية كبرى .

بينما نجد بقية التعريفات أو أغلبها تميل إلى ترجيح مقولة (**التصوير**)، أي تصوير الواقع ، أو التعبير عن التصور الإسلامي لهذا الواقع .

وهذا لايعني غبن الجانب الوجداني في أداء هذا الأدب، وهذا مفهوم من وصف التعبير « بالجمال » أو « الرقي » أو « التأثير » أو « الإيحاء » .. الخ . ولكن تعريف الدكتور الباشا أعمر وأصرح بهذه «الوجدانية» .

(٦) يبدو تعريف الأستاذ المجذوب غير جامع ، إذ قصر موضوع الأدب الإسلامي ومهمته على «تصوير الشخصية الإنسانية » فموضوع الأدب الإسلامي يتسع له الوجود كله بما فيه ومن فيه .

(٧) جاء تعريف الدكتور الكيلاني وافيا لأنه مزج ببراعة بين التعريف وسمات الأدب الإسلامي وأهدافه النفسية والفكرية والتربوية في عجينة واحدة. أما غيره فقد جعلوا السمات والأبعاد منفصلة عن التعريف، كما سنرى .

* * *

وتلتقي هذه التعريفات - أو أغلبها - في العناصر والنقاط الآتية :

أ - إطلاق التعددية الموضوعية : فهي لم تنص على موضوعات معينة يختص بها الأدب الإسلامي دون غيرها، لأن الأدب الإسلامي بتصوراته يفتح كل الآفاق ليأخذ منها موضوعاته .. من إنسان وحياة ووجود مشهود أو مغيب .

ب - إطلاق تعددية الأشكال التعبيرية أو ما يسمى بالأجناس الشعرية أو الأدبية : من قصة ورسالة وخطبة ومقالة وقصيدة ومسرحية وملحمة .. الخ

---

(١) انظر بريغش في مرجع سبق ص ١١٠ - ١١٣

« فليس هناك شكل أدبي يحرمه الإسلام بصورة مبدئية إلا إذا كان هذا الشكل يعدو على المضمون الإسلامي ، أو قيم الإسلامي وأوامره ونواهيه، من ذلك تلك الأشكال المشتقة من المسرح كالبالية أو الاستعراضات الغنائية المختلطة » (١)

وقد جاء في أهداف رابطة الأدب الإسلامي « رسم منهج إسلامي مفصل للفنون الحديثة التالية :

القصة - المسرحية - السيرة الأدبية - التمثيلية المسموعة - التمثيلية المرئية » . (٢)

ج - **التصور الإسلامي** : فالرؤية الذاتية، والتجربة الشعرية الصادقة هما مدد الإبداع، ولكن بعيدا عن العبثية، فكل أولئك لابد أن يسترفد روح الإسلام، ملتزما بأبعاده ورؤاه .

د - **التعبير الفني المؤثر** : فالمضمون الطيب الذي يمثل التصور الإسلامي الراقي، لابد أن يعرض في قوالب لفظية آسرة، ولنا في الأسلوب القرآني المثل الأعلى، وهو الذي يحوي الكثير من الألفاظ للتعبير عن الجمال، ومن ذلك :

الجمال والحسن والبهجة والنضرة والزينة، كما أشار إلى بعض وسائل التجميل كالحلية والريش والزخرف، كما استعمل ألفاظاً أخرى للتعبير عن آثار الجمال منها السرور والعجب، ولذة الأعين (٣) .

* * *

والذين قدموا هذه التعريفات قام أغلبهم بشرحها وتحليلها، وإبراز أهم سمات الأدب الإسلامي في نقاط مفصلة، لأن التعريف - في إيجازه - لايمكن أن يعبر التعبير النموذجي عن هذا اللون من الأدب :

فالدكتور عبد الرحمن الباشا يرى أن أهم خصائص الأدب الإسلامي (٤) :

١ - أنه غائي هادف .
٢ - أنه أدب ملتزم .
٣ - أنه أدب أصيل .

---

(١) د . عبد القدوس أبو صالح مجلة المجتمع الكويتية العدد ١٠٣٧ ، وانظر كذلك ص ١٣ من بحثه المخطوط بعنوان (قضية الأدب الإسلامي) .
(٢) نشرة الرابطة (تعريف برابطة العالم الإسلامي العالمية) ص ٧ .
(٣) صالح أحمد الشامي : الظاهرة الجمالية في الإسلام ١١٣ .
(٤) انظر تفصيل ذلك في كتابه (نحو مذهب أسلامي في الأدب والنقد ١١٦ - ١١٨)

٤ - أنه أدب متكامل .

٥ - أنه أدب مستقل له تميزه وشخصيته .

٦ - أنه أدب فعال مؤثر .

* * *

ويرى الدكتور عبد القدوس أبو صالح أن أهم سمات الأدب الإسلامي [١] :

١ - أنه أدب رباني يقوم على تصور عقدي ثابت هو التصور الإسلامي السليم .

٢ - أنه أدب ملتزم بالإسلام .

٣ - أنه أدب شمولي واسع الآفاق .

٤ - أنه أدب متوازن .

٦ - أنه أدب إنساني .

٦ - أنه أدب عالمي .

٧ - أنه أدب متصل عبر القرون .

٨ - أنه أدب هادف .

* * *

ويرى الدكتور صالح أدم بيلو أن خصائص الأدب الإسلامي هي :

١ - الإلتزام العقدي والخلقي .

٢ - الغائية والجدية الهادفة .

٣ - الشمول والتكامل .

٤ - الواقعية .

٥ - الإيجابية والحيوية المتطورة . [٢]

* * *

وسمات الأدب الإسلامي في نظر الدكتور محمد عادل الهاشمي :

١ - توسيع المضامين الأدبية وتحريرها من التقليد والتبعية .

---

(١) انظر التفصيل في بحثه المخطوط ١٥-١٦

(٢) يؤمن الكاتب بتعريف المرحوم سيد قطب وتعريف شقيقه كذلك للأدب الإسلامي ويقول « ويكاد الكاتبون والباحثون الذي خاضوا في هذا الموضوع للوصول إلى تعريف موحد للأدب الإسلامي لايخرجون عن ذلك إلا في بعض الفاظ وعبارات » .
انظر كتابه : من قضايا الأدب الإسلامي ٥٧ . وانظر في تفصيله سمات الأدب الإسلامي الكتاب السابق ٦٥ - ٧٩ .

٢ - النظرة الإيجابية للحياة .

٣ - النظرة الجمالية الواسعة [١] .

* * *

ومع اعتراف الدكتور حسن الأمراني بنموذجية تعريف الأستاذ محمد قطب للأدب الإسلامي، يضع الأمراني للأدب الأسلامي خصائص أربعا، يكتسب الأدب إسلاميته بقدر تمثله لها، وبقدر قربه منها يقترب من الكمال، وبقدر بعده عنها يتجافى عن الإسلامية .

وهذه الخصائص هي :

١ - الربانية .

٢ - الإنسانية .

٣ - التوازن .

٤ - المسئولية . [٢]

* * *

ويرى الأستاذ محمد حسن بريغش أن أهم سمات الأدب الإسلامي :

١ - أنه أدب واضح التصور، يستند إلى منهج رباني شامل .

٢ - أنه أدب الإنسان والإنسانية .

٣ - أنه أدب الحياة .

٤ - أنه أدب يتعدى في مساحته الزمانية والمكانية حدود كل الآداب الأخرى .

٥ - أنه أدب الأصالة . [٣]

* * *

ونذكر القارئ بما ذكرناه من قبل مما يراه د. عدنان النحوي من خصائص الأدب الإسلامي . فهو في نظره :

١ - أدب عقيدة

---

(١) انظر التفصيل في كتابه : في الأدب الإسلامي : تجارب ومواقف من ص ٤٠ إلى ص ٤١ .

(٢) د. الأمراني : « مفهوم الأدب الإسلامي وخصائصه » ص ٤ - ٧
بحث مقدم إلى ندوة الأدب الإسلامي المنعقدة في جامعة عين شمس في الفترة من ١١-١٣ شوال ١٤١٢، وقد ذكر الكاتب بعض هذه الخصائص عند الحديث عن (خصائص الثقافة البانية) مجلة المشكاة المغربية السنة الثانية . العدد (٥-٦) شوال ١٤٠٦ - يونيو ١٩٨٦

(٣) انظر التفصيل في كتابه : الأدب الإسلامي : أصوله وسماته من ص ١١٥ إلى ص ١٧٤ .

٢ - أدب الواقع الذي يراه من خلال هذه العقيدة .
٣ - أدب العلم .
٤ - أدب اجيال ممتدة .
٥ - أدب عزيز لايذل .
٦ - أدب مجاهد، له نهجه وأهدافه .
٧ - أدب لغته هي اللغة العربية .
٨ - أدب نام متطور .[(١)]

وواضح أن هذه السمات - في مجموعها - متقاربة، على اختلاف أصحابها، تقارب التعريفات التي عرضتها للأدب الإسلامي .

وينفرد الدكتور النحوي باشتراط **اللغة العربية** أداة للتعبير عن هذا الأدب - لابالنسبة للعرب فحسب ، ولكن بالنسبة للشعوب الإسلامية جميعاً . ولاشك أن الأخذ بهذا الشرط - على ماوراءه من حماسة وإخلاص وإيمان - يلغي ثروة هائلة من الأدب الذي أبدعه أدباء الشعوب الإسلامية التي لاتتكلم العربية ، كإبداعات جلال الدين الرومي ومحمد إقبال باللغتين الفارسية والأردية . وهذه اللغات - كما يقول الدكتور نجيب الكيلاني - نأخذ منها ، ونعطيها، وأدبها يدخل في نطاق الأدب الإسلامي[(٢)] .

وفي الأدب الإسلامي المكتوب باللغة الأردية ملاحم يبلغ بعضها عشرين ألف بيت من الشعر وهناك من الشعراء الإسلاميين الأتراك محمد عاكف مؤلف النشيد القومي التركي ، ونجيب فاضل أمير شعراء الأتراك[(٣)] .

وقد عبرت الرابطة صراحة عن اعترافها وتشجيعها للأدب الإسلامي المكتوب بغير العربية، فجعلت من ضمن أهدافها «دراسة الأدب الإسلامي المعاصر في البلاد الإسلامي وإظهار الخصائص المشتركة للأدب الإسلامي في العالم ...

وكذلك القيام بدراسات موسعة لعدد من الأدباء الإسلاميين، وبخاصة الذين صاغوا أدبهم بإحدى لغات الشعوب الإسلامية »[(٤)]

---

(١) د. عدنان النحوي : مرجع سبق ٣٤ - ٣٩
(٢) مجلة الفيصل السعودية العدد ١٧٤ (ذو الحجة ١٤١١) ص ٥٤
(٣) عبد القدوس أبو صالح : قضية الأدب الإسلامي ٨ - ٩ .
(٤) الهدفان التاسع والعاشر من أهداف رابطة الأدب الإسلامي العالمية (انظر ص ٨ من نشرة التعريف بها ط (٢) ١٩٩٣)

ولكن هذا لايعفينا من واجب ملزم، وهو العمل على نشر اللغة العربية في هذه البلاد، وغيرها من البلاد الإسلامية التي لاتتكلم العربية، وليس ذلك بعزيز، إذا ماحسنت النوايا، وصدقت العزائم، واتصلت الجهود وتوالت [(١)] .

* * *

وترتفع بعض الأصوات النقدية آخذة على الإسلاميين - في عصبية وانفعال - **أنهم لم يستطيعوا حتى الآن « أن يبلوروا » تعريف الأدب الإسلامي، ولم يرسموا حدوده النهائية، أي أن التعريف ومضموناته مازال في حاجة إلى تحديد أدق وأوفى مماهو عليه حالياً، وفي طروحاته التي قرأناها .**

وأنا أرى أن هذا اللوم - أو هذا الاعتراض في غير محله للأسباب الآتية :

١ - صعوبة وضع تعريفات نهائية للعلوم الإنسانية وموضوعاتها، فالمسألة إذن ليست خاصة بالأدب الإسلامي .

٢ - والتعريف النموذجي المطلوب للأدب الإسلامي لا يمكن أن يحدد بقرار أو بقرارات من فرد أو جماعة، بل إن الذي يحدده ويبلور ملامحه وأبعاده ومضامينه هو الإفرازات والإبداعات الأدبية المتوالية، في نطاق الخطوط الأساسية الرئيسية للتنظير، وكثيرا مايغير الإبداع مسار التنظير القبْلي، وقد يؤثر في تشكيل التنظير البعدي وطوابعه . والاستقراء التاريخي يؤيد هذه النظرة ويؤكدها : فهو ميروس (القرن الثامن أو التاسع ق . م) حينما نظم الإلياذة والأوديسة لم يكن في ذهنه تقنية الملحمة وخطوطها الفنية . وقد نالتا من الشهرة والصيت - على مدار التاريخ وحتى وقتنا الحاضر - ما لم يظفر به أو ببعضه أي عمل أدبي [(٢)] .

ولا أكون غاليا إذا قلت أن هاتين الملحمتين هما اللتان وضعتا عمليا قواعد الملحمة الطبيعية التي نظرها وسجلها بعد ذلك بقرون ارسطو (٣٨٤ -٣٢٢ ق . م) في كتابه (فن الشعر) .

---

(١) انظر جابر قميحة : (الأدب الإسلامي بين إشكالية المصطلح ومعيارية التطبيق) : (بحث نشر في مجلة الوعي الإسلامي الكويتية بالعددين (٣٧٦) ذو الحجة ١٤١٧ هـ - (٣٧٧) المحرم ١٤١٨ هـ .

(٢) تتكون الإلياذة من (١٥٥٣٧) بيتا موزعة على ٢٤ نشيدا كلها في وصف الأيام الأخيرة من حرب طروادة أما الأوديسة فتتكون من (١٢) ألف بيت .
وهناك من المؤرخين من يرى أن موت هوميروس أنهى عصر الملاحم والخرافات
(النظر للدكتور أحمد كمال زكي الأساطير ٧٥ - ٧٦] .

وفي تاريخنا الثقافي والأدبي نرى تعريف الأدب جاء بعد ميلاد الأدب، ووضع الخليل علم العروض مستخلصاً بحوره من الرصيد الشعري السابق ، وقواعد النحو استخلصت من الاستخدامات اللغوية السابقة على هذه القواعد بقرون مديدة .

فلا بدع إذا قلنا إن « التعريف المثالي » - ولا أقول النهائي - للأدب الإسلامي - ستتكامل خطوطه تدريجيا اعتمادا واستخلاصا من الإبداعات الأدبية الإسلامية المتوالية .

* * *

وقد أجد من يخالفني إذا زعمت أن تعدد التعريفات - حتى لو تباعد بعضها عن بعضها الآخر في بعض الجزئيات - يمثل ظاهرة صحية تعود بالنفع في النهاية على الأدب الإسلامي .

١ - لأن الخلاف لاينال من الثوابت التي تمثل جوهر الأدب الإسلامي وهي: الانطلاق في الإبداع من من التصور الإسلامي، وجمالية الأداء التعبيري، ولكنه - غالبا - مايكون في الطوابع التي تتسم بقابلية التغيير بالإضافة أو بالنقص، كمدى قابلية الأدب الإسلامي لبعض الفنون الأدبية المستحدثة، والتحرر الجزئي من وحدة الوزن والقافية، وقدر الحرية الأدبية في مجال التخيل، وحدود الالتزام... الخ .

ولعلي لا أكون مجانبا للصواب إذا قلت إنه غالبا ما يكون خلافاً في الدرجة لاخلافا في النوع .

٢ - وهذا التعدد يفتح المجال للاجتهادات، ويوسع دائرة النقاش والمحاورة البناءة، ويكثر من زوايا النظر مع بقاء الجوهر .

وبمرور الزمن لن يبقى في الساحة إلا الأفضل والأصلح والأنضج والأنقى .

وقد اتسع تراثنا الأدبي - في مجال التعريفات لكثير من الخلافات في مجال الأدب والفقه واللغة، وكل هذه الخلافات مثلت عطاء فكريا طيباً مازلنا ننتفع به حتى الآن .[1]

(١) فالأدب مثلا تعددت تعريفاته - لغة واصطلاحا على مدار التاريخ العربي ابتداء من الجاهلية إلى الآن (انظر لسان العرب ومعجم مصطلحات الأدب) ص ٥ .

الفصل الثاني

في حضـــور الأدب الآخـــر

الأدب الشيوعي

لا يستطيع أحد أن ينكر أن هناك أدبا شيوعيا أو ماركسيا ذا حدود وأبعاد وملامح معروفة ، يفرزه شيوعيون ماركسيون ، وهو يعالج موضوعاته من زاوية أيديولوجية مادية حادة جدا بالنظر إلى معطيات هذا الأدب وأهدافه ، ورفضه "الآخر" رفضا حاسما .

وقد أبان عن كل أولئك "لينين" سنة ١٩٠٥ م في مقال له بعنوان " تنظيم الحزب وأدبه " ، وفيه يرفض أي نشاط أدبي أو فني لا يكون في خدمة الحزب ، وفي هذا المقال الغريب يقول " لنتخلص من رجالات الأدب غير الحزبيين ، لنتخلص من هواة الأدب المثاليين . على قضية الأدب أن تصبح جزءا من القضية العامة للبروليتاريا ، وجهازا صغيرا من الآلة الاشتراكية الديمقراطية الموحدة والكبيرة التي تحركها الطليعة الواعية للطبقة العاملة كلها . على النشاط الأدبي أن يصبح عنصرا مؤلفا لعمل حزبي اشتراكي ديمقراطي منظم [١]

والمعروف أن الفلسفة الماركسية تعتمد اعتمادا أساسيا على فكرة "الصراع الطبقي" ، لذا نرى . كما يقول "هازلت" في الدرامة الماركسية - عالما يتألف جوهريا من طبقتين تصارع أحداهما الأخرى صراع الموت ، وهما : الرأسماليون وأجراؤهم من ناحية ، والبروليتاريا الزاحفة من ناحية أخرى .[٢]

---

(١) هنري أورفون : الجمالية الماركسية ٢٢ (ترجمة جهاد نعمان)
وانظر ٢٣ - ٤٤ من كتاب الدكتور شكري محمد عياد : المذاهب الأدبية والنقدية عند العرب .

(٢) هنري هازلت : الأدب والرأي . ص ٦٩ من كتاب : الأديب وصناعته (مجموعة دراسات في الأدب والنقد) .

الأدب الوجودي

الوجودية - بمعناها العام في الفلسفة - تعني النزعة التي تعلق أكبر قسط من الأهمية على وجود الفرد في الكون وعلى صفاته الجوهرية ، وهي التي قال بها كيركجارد KIERKEGAARD الدانيمركي ، ياسبرز JASPERS وهايدجر HEI-DEGGER الألمانيان ، وشيستوف SHESTOV وبردياييف BERDYAEV الروسيان .

وفي العقد الخامس من القرن العشرين أطلق هذا المصطلح على النظرية الفلسفية التي نادى بها جان بول سارتر JEAN-PAUL SARTRE في كتابه " الوجود والعدم " ١٩٤٣، وأساسها : أن الوجود المطلق - أو حالة الفراغ كما يسميها سارتر - يسبق الجوهر أو الماهية أو الوجود الفعلي . والوجود الفعلي -في نظره- عبارة عن خروج الفرد من حالة الخمول البدائي بوساطة الثورة النفسية الناتجة عن القلق واليأس إلى جو من الحرية المطلقة يستطيع فيه أن يشكل حياته بمحض إرادته متحملا المسئولية الكاملة عن جميع تصرفاته ، وأن يضفي على العالم الذي يعيش فيه معنى ومنطقا .(١)

فالفرد في نظر الوجوديين هو الموجود الحقيقي ، ويرتبون على ذلك أنه لامعنى إذن للقول بالطبيعة البشرية ، والقول بالأخلاق التي تفرضها هذه الطبيعة ، أو بالأقدار التي رسمت لها طريقها قبل أن تبرز إلى عالم الوجود ، فكل فرد عالم قائم بذاته يضع لنفسه أخلاقه وآدابه وعقائده وآراءه ... وإذا كان التقدير السابق عندهم غير موجود ولا معقول فالغاية المرسومة كذلك غير موجودة ولامعقولة، وإنما الحياة فلتة من فلتات الطبيعة، جاءت بها عبثا، وتذهب بها عبثا (٢) .

---

(١) د. مجدي وهبة : معجم مصطلحات الأدب ١٥٤

(٢) عباس العقاد : بين الكتب والناس ٢٥ وانظر كذلك كتابه : يوميات ١٣/٤

والفرد وحدةهو الحكم فيما يأتي، فليس لأحد من «المجتمع» أن يحدد له مفاهيمه أو أخلاقه أوتقاليده أو عقائده أو تصرفاته أو سلوكه .(١)

والإله عندهم - وخصوصا سارتر - ليس خرافة فحسب، ولكنه خرافة ضارة .(٢)

وإيجاد الذات وتأكيد الإنسان الفرد لوجوده الذاتي - في نظر سارتر - لايتحقق إلا بإطلاق العنان للرغبات والشهوات بحيث يفعل مايشاء، ويترك مايشاء. وتعترف «سيمون دي بوفوار» بأن من طبيعتها أن تجنح دائما إلى لذائذ الجسد .(٣)

وهم في هذا المسلك اللا أخلاقي ينطلقون من إيمانهم بما ذهب إليه «نيتشة» من أن الأخلاق ليست إلا خرافات اخترعها الضعفاء ليتقوا بها سطوة الأقواء في معركة الحياة .(٤)

وتحمل الوجودية في تضاعيفها كثيرا جدا من التناقض والاضطراب، بل أن الاضطراب في قواعدها - كما يقول العقاد - أشد من الاضطراب في قواعد الفوضوية لأنها وجوديات كثيرة، وربما تناقض الفيلسوفان الوجوديان في العصر الواخد والبلد الواحد .(٥)

ومن عبثيات الوجودية وعدميتها التشجيع على الانسحاب من الحياة بالانتحار، فليس هناك سبب عميق للحياة، ولامعنى للسعي اليومي، ولاجدوى من الألم والعذاب ، وبالاختصار « فإن الانتحار يعني بكل بساطة الاعتراف بأن الحياة لاتستحق أن تعاش »(٦)

* * *

وكان للفلسفة الوجودية تأثير كبير جدا على الآداب المختلفة ، وخصوصا

---

(١) محمد قطب : جاهلية القرن العشرين ١٩٢
وانظر عبد الرحمن رأفت الباشا ٧٥ - ٧٨ من كتابه (نحو مذهب إسلامي في الأدب والنقد) .

(٢) رأفت الباشا : مرجع سبق ٧٥

(٣) صالح أحمد الشامي : الظاهرة الجمالية في الإسلام ٥٦

(٤) رأفت الباشا : مرجع سبق ٧٦

(٥) العقاد : يوميات ٩٣/١

(٦) الشامي : مرجع سبق ٥٧

الأدب الفرنسي بعد الحرب العالمية الثانية، وخاصة لدى سارتر وكامو وسيمون دي بوفوار .[١]

ومادامت الحياة قد فقدت معناها وهدفها لفقدان العنصر الذي يوجد الترابط بين أجزائها، ويعطي أحداثها تفسيرها ومعناها وهو الدين، فإن سارتر يرى الحل في أن يعيش كل إنسان وحده، وأن يحقق وجوده بأن يفعل مايرى هو أنه حق ، وأنه واجب، وأنه حسن، ففي مسرحيته « الجحيم هو الآخرون » يرسم الجحيم في نفس إنسان يتعذب من أول المسرحية إلى آخرها من وجود آخرين لايكفون عن الوجود من حوله، ويفرضون عليه أن يكونوا موجودين معه، وبذلك يمنعونه أن يكون نفسه ... أن يحس بذاته ، أن يفعل مايمليه عليه هواه الشخصي، فيظل ساكنا ساكتا يتعذب، يتطلع إلى اللحظة التي يذهب فيها عنه الآخرون لينطلق بوجوده الذاتي، ولكنهم لاينصرفون فيظل هو في الجحيم .[٢]

* * *

والأدب الوجودي - وخصوصا عند سارتر - أدب ملتزم بالفلسفة الوجودية، يتبنى قواعدها ومبادئها ويعالجها في أعماله الفنية، ولكن سارتر يستثني الشعر من نطاق هذه القضية، ويرى من السخف المطالبة بالتزام شعري . وترتكن فكرة «سارتر» في إخراج الشعر من دائرة الالتزام إلي فهمه لطبيعة التعبير الشعري وعملية الإبداع فيه، وإلى نوعية تعامل الشاعر مع الكلمات والأشياء .

وفي هذا افتراض واضح لقيام عالم الشعر مستقلا عن عالم المعنى، وأن الشاعر لايدخل هذا العالم إلا بعد أن يحطم كل معنى في نفسه، فيعبر إلى هذا العالم الشعري على أشلاء المعاني التي أحس بها في نفسه واضحة ومحددة، إنه -بعبارة أخرى - يدخل إليه عريان من المعنى، ومن ثم لايستطيع الشاعر أن يقول إنني أريد أن أعبر عن «كذا» في عمل شعري، لأن تعبيره عن المعنى أو الموضوع المحدد الواضح له لن يكون تعبيرا شعريا، بل مجرد تعبير، ذلك أن عالم

---

(١) مجدي وهبة : مرجع سبق ١٥٤
(٢) محمد قطب : مذاهب فكرية معاصرة ٢٩٢

الشعر يخلق موضوعه الخاص، ولايمكن إقحام موضوع خارجي محدد عليه .[(١)]

* * *

وقد تسربت الوجودية من الفكر الغربي إلى الفكر العربي المعاصر بقوة، وكان من أخطر مروجيها الدكتور عبد الرحمن بدوي فيما ترجمه من أصولها، وما كتبه عنها .

بل لقد حاول أن يوجد أصلا لها وللنزعة الإنسانية الغربية التي انتفت الوجودية منها في الفكر العربي من خلال كتابات الصوفيين الغالين والفلاسفة الذين تجاوزوا أصول الشريعة والاعتقاد الإسلامي الصحيح .

ويرى عبد الرحمن بدوي أن الشعر الوجودي يضيف للإنسان الصفة الأولى للربوبية، وأشاد بالنموذج الذي أبدعه بودلير في ديوانه أزهار الشر . وأغرى الشعراء العرب الوجوديين بالابتعاد - قدر الإمكان - « عن اللغة الجارية كيما تستعيد البكارة الأولى التي يمتاز بها عالم الإمكان » أما عمود النحو « فلنهدمه على رؤوس المصفدين إليه » .... ولاشأن للوجودي « بأية أحكام تقويمية خارجه عن نطاقه الفني الخالص، سواء أصدرت هذه الأحكام عن الدين أم عن الأخلاق ... ومعنى هذا بكل وضوح أنه إن وجد الرذيلة أو القبح أو الشر أو حظا في التمكين منالإبداع فلا جناح عليه مطلقا في أن يتخذها ... الخطايا والشرور والرذائل وما إليها أدل على حقيقة الوجود وأقدر على الكشف عن نسيجه » .

ويمضي الدكتور محمد مصطفى هداره - رحمه الله - في تعقب بصمات الوجودية في الشعر العربي المعاصر ومنها توظيف الأساطير في الشعر، والشعور الحاد بالقلق والاغتراب واليأس، وكذلك النزوع إلى الإلحاد والتنكر للموروثات الدينية، ومن الذين تأثروا إلى حد كبير بمعطيات الوجودية الشاعر عبد الوهاب البياتي في قصيدته (مسافر بلا حقائب) في ديوانه (أباريق مهشمة) . كما ظهر الأثر الوجودي في شعر بدر شاكر السياب ، وكأنه كان يستلهم « بودلير » في موقفه الوجودي الذي يعبر عنه بالتمرد ورؤية الجمال في

---

(١) انظر د. عز الدين اسماعيل : الشعر العربي المعاصر : قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية ٣٨٦ -٣٨٨ .
وانظر كذلك للدكتور غنيمي هلال : النقد الأدبي الحديث ٤٨٨ -٤٩٢
وانظر كذلك للدكتور مصطفي غالب : سارتر والوجودية ١٥١ -١٥٢ . وفي نقد الوجودية ارجع إلى كتاب الدكتور رأفت الباشا : نحو مذهب إسلامي في الأدب والنقد ٧٩ -٨١ .

القبح والشر والرذيلة، ويرى أحد الباحثين أن صرخة سارتر (الجحيم هو الآخرون) تتردد عند السياب في قوله :

وعرٌ هو المرْقى إلى الجُلْجُلَهْ
والصخر ياسيزيف ماأثقلَهْ
سيزيف إن الصخرة الآخرون

ومن أبرز نماذج الأدب الوجودي شعر أدونيس، فديوانه «التحولات والهجرة في أقاليم الليل والنهار» تصوير ناطق بالفكر الوجودي في تمرده ورفضه وقلقه وفي الإحساس الحاد بالغربة .

كما تأثرت القصة القصيرة بالتيار الوجودي كما نجد في إبداع إدوار الخراط وعلاء الديب ومحمد حافظ رجب وإبراهيم أصلان وغيرهم، وكذلك تأثرت الرواية بهذا الفكر الوجودي كما نرى في أعمال سهيل إدريس وجبرا إبراهيم جبرا واسماعيل فهد اسماعيل ونجيب محفوظ وليلى بعلبكي والطيب الصالح وغيرهم .

والمعاني العامة التي تدور حولها الرواية العربية الوجودية إثبات الإرادة الإنسانية المتحررة من كل قيد، والمسئولية الملقاة عليها، والقلق واليأس والسقوط والاغتراب والانفصام عن الماضي وعن المجتمع . (١)

---

(١) ارجع إلى «موقف الأدب الإسلامي من المذاهب الأدبية المعاصرة» بحث مخطوط للدكتور محمد مصطفى هدارة وخصوصا الصفحات ١١ - ١٣

الأدب المسيحي

من الصعب -إن لم يكن من المستحيل - الفصل - واقعيا وتاريخيا بين الدين والفن ، فكلاهما - كما يقول الأستاذ محمد قطب - انطلاق من عالم الضرورة، وكلاهما شوق مجنح لعالم الكمال، وكلاهما ثورة على آلية الحياة . (١)

ومادة الفن هي الحياة والنفس الإنسانية ، ومقوماته هي الصدق والأصالة الفنية والمضامين السليمة .

ومادة الدين هي الحياة والنفس الإنسانية ، ومقومات الدين الصادق المنزل من عند الله هي الصدق والأصالة والمثل العليا التي تتواءم مع واقع الحياة ، وتتطور معها ، وتشبعها بالسعادة والحب والإخاء والعدالة والحرية .

وغاية الفن الإمتاع والإفادة والتحريض على بناء مجتمع أفضل . وغاية الدين لا تخرج عن إسعاد البشرية واستمتاعها بحياتها ، وسيطرة المثل الفاضلة على علاقات البشر والدول والحكام ، والتهيؤ لعالم آخر .. عالم أفضل ، والتنفير من المظالم والانحرافات ، والعمل على هدمها . (٢)

* * *

وإذا نظرنا إلى الدين المسيحي رأينا له تأثيرا واضحا في بعض المذاهب الأدبية الأوربية منذ عصر النهضة ، وكان هناك من ثار على مساس الأدباء بالقيم الدينية المسيحية مثل "جايلز فلتشر" في كتابه انتصار المسيح .

والشاعر الانجليزي "ملتون" يرى ضرورة وجود هدف أخلاقي في الشعر ،

---

(١) محمد قطب : منهج الفن الإسلامي ٥ .

(٢) د. نجيب الكيلاني : الإسلامية والمذاهب الأدبية ١٣ - ١٤
وانظر مظاهر هذه الصلة القوية بين الدين والأدب عمليا في القديم عند العرب واليونان والرومان والمصريين والفرس والهند والصين الصفحات ٦٢ - ٧٢ من كتاب « الأدب العربي بين الصدق الفني والأخلاقي » للدكتور شوقي عبد الحليم حمادة .

ويقول إنه يصف في شعره عرش الله ، ويمجد عزته لتلقين الناس معاني التقى والفضيلة ، وفي مقدمة ملحمته "الفردوس المفقود" يبين أن غرضه الذي يسعى إلى تحقيقه هو إثبات قدرة الله الخالدة .

وفي القرن الثامن عشر الميلادي ظهرت في أوروبا نظرية "العدالة الشعرية" التي تقوم على ترسم المثل الأعلى في الأخلاق ، وعلى مبدأ الثواب والعقاب .

وفي القرن التاسع عشر أكد "جون ستيوارت مل" النزعة الأخلاقية المرتبطة بالدين المسيحي في الفنون وكل نواحي النشاط الفكري للإنسان . ثم ظهرت "المدرسة الإنسانية الجديدة" التي وضع أساسها "أرفنج بابيت" ، وكان هدفها الأسمى تقوية روح الآنسان بترسيخ القيم الدينية فيها ، وإذعانه للأعراف والتقاليد المتوارثة ، ومقاومة النزعات الفردية والعاطفية المطلقة دون قيود .

وعلى الدرب نفسه سارت المدرسة الكلاسيكية الجديدة أو " مدرسة الإحياء الكاثوليكي" التي أسسها "ت.س.اليوت" التي دعت إلى ضرورة بعث الإيمان بالدين المسيحي ، بل دعا "إليوت" صراحة إلى ربط الأدب بالدين ، والحكم على الأدب بمقاييس أخلاقية لها صفة الثبات والشمول .

وتأسيسا على هذه النظرة هاجم "إليوت" الأدب الحديث لأنه يقدم تجارب بعيدة عن الإيمان والأخلاق بحيث يعيش الإنسان في خواء الحضارة المادية دون تراث أو قيم ، وهاجم المذاهب الأدبية الاشتراكية والماركسية والسريالية والرومانسية وما إليها التي لا تلتزم الأخلاق المسيحية بمفهوم المذهب الكاثوليكي بصفة خاصة .[١]

* * *

وبعد هذه التوطئة يواجهنا سؤال يبحث عن إجابة ، وهو : هل في أدبنا العربي من الإبداع ما يشكل "أدبا مسيحيا" له ملامحه الموضوعية والفنية الفارقة ، شأن الآداب المذهبية الأخرى ؟

إن الاستقراء التاريخي يمنحنا الجواب بالإيجاب ، ولو وقفنا عند

---

(١) انظر : د . محمد مصطفى هدارة « الالتزام في الأدب الإسلامي ٢٠ - ٢٣
(بحث قدم لندوة الأدب الإسلامي) . بالرياض .

الساحة اللبنانية وحدها لطال بنا المقام، ولاحتجنا إلى بحوث متعددة لعرض "أدب مسيحي" متعدد الأجناس الأدبية ، ومشبع بروح المسيحية ، ولكن نكتفي بالإشارة إلى عمل درامي رائد هو مسرحية "المروءة والوفاء" لخليل اليازجي ، ويقال أنها أول مسرحية شعرية في الأدب العربي . [١]

والمسرحية تبرز القيم الأخلاقية المسيحية من خلال واقعة مشهورة في العصر الجاهلي : فحنظلة الأعرابي الذي حكم عليه الملك النعمان بالموت في يوم نحسه يعود إلى النعمان لوعد قطعه له بعد أن ضمن عودته عربي آخر ذو شهامة وأريحية ومروءة اسمه "قراد" ويعجب النعمان أن يعود الأعرابي ليتلقى الموت بعد أن أفلت منه ، ويسأله النعمان عن مصدر هذا الوفاء العجيب فيكون جوابه : إنه دينه النصرانية . ويدخل الملك النعمان وأهل الحيرة جميعا في الدين الجديد ، ويعفو عن الكفيل الشهم "قراد" وعن المكفول الوفي "حنظله" الطائي .

وقد نجح اليازجي - إلى حد كبير - في عرض أفكاره والقيم التي تدعو إليها النصرانية من خلال الحوار والأحداث التي ربط بينها ربطا محكما . ومن خير المشاهد ذلك المشهد الذي يصور مثول حنظلة بين يدي النعمان ، ويعجب الملك لسعي الأعرابي لحتفه بقدميه مع قدرته على الهرب ، ويدور بينهما الحوار التالي:

حنظلة : ألا إنه ديني الذي يفرض الوفا
ولو بين أرماح ونبل وأنصل

النعمان : وما هو هذا الدين ؟

حنظلة : دين تنصر
له سنن تحلو لدى المتكمل

النعمان: بماذا ترى الدين يأمر غير ذا ؟

حنظلة : بحب عدو بالعداوة ممتلي

النعمان : لعمري هذا خير دين ترومه

---

(١) نظمها خليل اليازجي سنة ١٨٧٦ . وظهرت الطبعة الأولى من هذه المسرحية سنة ١٨٨٤ في بيروت ، ثم ظهرت في طبعة ثانية في مصر سنة ١٩٠٢ بعد وفاة صاحبها بثلاث سنوات، ولكنها مثلت قبل طبعها في بيرت سنة ١٨٧٨ (انظر : الدرامات الشعرية : أحمد محمد مظهر : مجلة أبولو نوفمبر ١٩٣٤ . ص ٣٤٧، ولكن يفهم من التقاريط الملحقة بالمسرحية أنها مثلت سنة ١٨٨٠ .

فنحن بدين جاهلي مضلل [١]

* * *

وفي مصر نشأ أدب عربي قبطي بعد أن أصبحت اللغة العربية هي اللغة الرسمية في البلاد سنة ٨٥ هـ - (٧٠٥م) بقرار نقل الدواوين من اللغة القبطية إلى اللغة العربية ، فأخذ الأقباط يهملون بالتدريج دراسة اللغتين اليونانية والقبطية ، ويقبلون على تعلم اللغة العربية ودراسة آدابها .

وابتداء من القرن الثالث الهجري بدأ الأقباط يؤلفون الكتب العربية ، ولعل الرائد في هذا المجال "سعيد بن بطريق المتطبب" (٢٦١-٣٢٨) بكتابه "التاريخ المجموع على التحقيق والتصديق" .

وعلى مدار العصور ظهر أدباء نصارى كثيرون منهم في العصر الفاطمي زكريا بن أبي المليح مماتي. وفي عصر الدولة الأيوبية ظهر من أدبائهم "أبناء العسال" من عائلة رجل نصراني اسمه "أبوالبشر يوحنا الكاتب المصري" ، ومنهم "الصفي بن العسال" صاحب كتاب "المجموع الصفوي" ، والشاعر الأسعد ابن العسال .

ومنهم "جرجس بن العميد " المعروف "بابن المكين" كاتب الجيوش المنصورة في حكومة الأيوبيين . ومنهم بعد ذلك : "بطرس أبو شاكر" المعروف بابن الراهب ، وابن كبر شمس الرياسة أبو البركات (ت ٧٢٥هـ) . [٢]

وفي العصر الحديث نهض الأدب القبطي، وأصبح ذا ملامح وسمات مميزة، وانفتح كثير من أدباء الأقباط على الثقافات الأجنبية والعربية والإسلامية ، بل إن بعضهم درس في الأزهر مثل : ميخائيل عبد السيد، وجندي إبراهيم صاحب صحيفة "الوطن" الذي التحق بالأزهر تحت اسم "الشيخ إبراهيم الجندي" وكذلك الشاعر تادرس وهبي ، ولم يعرف بين أدباء القبط من تأثر بالثقافة الإسلامية مثله ، فقد حفظ القرآن ، وفهمه فهما جيدا ، وكان يكثر في شعره من الاقتباس من الآيات القرآنية ، والإشارة إلى الأحاديث النبوية .

ومنهم "فرنسيس العتر" الذي كان يحضر دروس الشيخ محمد عبده

---

(١) مسرحية المروءة والوفاء لخليل اليازجي ٨٦
(٢) انظر : محمد سيد كيلاني : الأدب القبطي قديما وحديثا ٥ - ٢٣

مساء كل يوم ، وقد رحب به الشيخ، وأدنى مجلسه .[١]

* * *

ويطول بنا المسار لو رحنا نستعرض مراحل تطور هذا الأدب ، فيكفينا إلقاء الأضواء عليه خلوصا لأهم ملامحه وأبعاده المتميزة .

إن من مبدعي هذا الأدب كتابا وشعراء ورجال دين ، ويظهر تميزه في الشعر بخاصة . فمن ناحية الشكل نجد شعراء الأقباط قد التزموا بالشكل الخليلي للقصيدة مع الحرص على أصالة الكلمة العربية ، والتزام الصحة اللغوية والقاعدية . وغير هذه السمة المهمة نرى غير قليل من ملامح التميز الموضوعي والفني ومن أهم هذه الملامح :

١ - الاعتزاز بالفرعونية حتى أنهم اتخذوا من اسم رمسيس شعارا لهم ، ولقبوا أنفسهم بأحفاد رمسيس، وأنشأوا ناديا لهم باسم "رمسيس" ، وظهرت لهم مجلة باسم "رعمسيس" ، وظلوا يلحون على نقل تمثال رمسيس من البدرشين إلى "ميدان باب الحديد" بالقاهرة ، إلى أن تحقق ذلك سنة ١٩٥٥. وكان بعضهم يسمى أبناءه بأسماء فرعونية .

وفي الشعر كان للقومية الفرعونية والفراعنة الحظ الأوفى إلى درجة الإغراق في المدح والتقدير ، وخصوصا عند أمير شعراء الأقباط "نصر لوزا الأسيوطي" (١٨٨٧ - ١٩٦٤) ففي مطولة له من خمسة وأربعين بيتا بعنوان "على سفح الأهرام" يقول عن الفراعنة :[٢]

إذا ذكروا يوما أشارت يد العلا … إليهم وخرت في الوجود لمام

وإن ذكروا يوما فإن بمثلهم … بطون نساء العالمين عقام

وإن ذكروا يوما فإن لذكرهم … سجود جميع السامعين لزام

وإن ذكروا يوما فإن قلوبنا … تحن إليهم ، والحنين هيام

---

(١) كيلاني : السابق ٢٥

(٢) انظر : كيلاني السابق ٤٦ .

وقد بلغت هذه العاطفة حدا من الغلو الغريب، يدل على ذلك ما نشرته صحيفة (الوطن) القبطية في ١٩١٣/٨/١٦ أن وفدا من أدباء الأقباط زار معبد الكرنك في مدينة الأقصر ، ولما صاروا أمام أحد تماثيل رمسيس الأكبر . انبطحوا على الأرض، وتمرغوا في التراب ، وتقلبوا في العفار والهباب، ورفعوا أصواتهم بالبكاء والعويل، وسالت دموعهم كل مسيل، واشتد الصياح، وعظم النواح، وصاروا يرددون البيتين الآتيين لنصر لوزا الأسيوطي :

رمسيس قم وانظر الأحفاد كيف هم … ذلوا وكيف على بلواهم صبروا ..

رحماك رحماك قم وانظر بعينك ما … قد خبأته ليالي الغدر والقهر

وإن ذكروا يوما فإن مديحهــــــم بكل لســــــان مبدأ .. وختام
وإن ذكروا يوما فمن فرط مجدهم وهيبتهم صلى الأنام وصاموا

....

كأن ثرى الأهرام ترب مقـــــدس حواليه من كل الشعوب زحام
يؤمونه من كل فج ، وجوهـــــهم عليهن من فرط الحـــياء لثام
يحجون أرضا أصبحت بك كعبة كأنك بيت للحجـــيج .. حرام

* * *

وربما كان من العوامل التي أججت هذه العاطفة الفرعونية علو صوت المسلمين بالدعوة إلى الجامعة الإسلامية والالتفاف حول لواء الخلافة ، وترويج دعوى أنهم "نسل الفراعنة ، لم تختلط دماؤهم بدماء أجنبية عربية أو تركية أو غيرها" .[1] وقد صرحوا بما يبين عن هذه النزعة في كثير من قصائدهم كتلك التي نرى الشاعر "تادرس وهبي" يهنىء بها الزعيم القبطي " بطرس غالي " بمناسبة توليه رياسة الوزارة المصرية سنة ١٩٠٨ . وفي مطلعها يقول :

فيا ســــلالة "مينا" والشيء بالشيء يذكر
لقد رآك الخـــديوي علـــى الرياسة أقدر
فكنت خـــير وزير حـــاز الفخار المؤزر [٢]

* * *

٢ - الدعوة إلى المحبة والاتحاد والتلاحم بين عنصري الأمة من مسلمين وأقباط : وخصوصا بعد أن اشتعلت "فتنة أدبية" بسبب مقتل "بطرس غالي" رئيس الوزراء على يد شاب مسلم هو "إبراهيم الورداني"

ولكن كان هناك تيار آخر يغذيه أمثال "أخنوخ فانوس" منشيء جمعية "مجتمع الإصلاح القبطي" تحت ستار الدعوة إلى إنصاف الأقباط وحمايتهم ودفع الظلم الواقع عليهم من المسلمين ، واستجاب بعض الشعراء الأقباط لهذه الدعوة [٣]

* * *

(١) انظر كيلاني : السابق ٤١
(٢) انظر نماذج من هذا الشعر لعوض واصف وإبراهيم حنين ص ٧٣، ٨٤ من المرجع السابق .
(٣) انظر نماذج من هذا الشعر ٩٥ - ٩٧ من المرجع السابق .

٣ - ظهور بصمات الديانة المسيحية في الأفكار والصور والألفاظ والتراكيب والإشارات التاريخية ، كما نرى في قصيدة " روفائيل نخلة " بمناسبة "عيد الفصح" [١] وفيها يقول :

في يوم عيد الفصح تزهو القاهرة   من فيض أنوار الربيع الباهرة
بقيامة "الفادي" تكامل سـعدها   وبدت بشارات السرور النادرة
....
كل القلوب اليوم تخفق بهجـة   بألوف دور بني المسيح العامرة
ومئات إجراس الكنائس كلـها   غنت أغاني الحبور .. الجاهرة
قام "المسيح إلهنا" من مدفـن   ألقته فيه ذنوبنا المتـكاثرة
فأرى النصارى كلهم في شخصه   إن الصليب ينيل مجد الآخـرة

وتظهر هذه البصمات كذلك في أغلب الأغراض الغنائية كالمدح والشكوى والرثاء ، كما نرى في الأبيات التالية من قصيدة طويلة لنصر لوزا الأسيوطي يرثي فيها زوجته [٢] :

لاقيت مريم أخت مريم فانعـمي   بأجـل خالدة وخير تلاق
أنفقت في الإيمان عمرك والتقـى   فربحت تاج الخلد بالإنفاق
بعُرى الصراحة والهدى استمسكت   في زمن بغـي مفعم ونفاق

٤ - ومقابل هذه السمة نجد قليلا من شعراء الأقباط يوظف في شعره غير قليل من الألفاظ والقوالب والمعاني والصور القرآنية كما نرى في قصيدة الشاعر القبطي "تادرس وهبي" التي نظمها بمناسبة مرور عام على مصرع "بطرس غالي" [٣] وفيها يقول :

رب كن لي فيما أحاول واحلل   حين أرثيه عقدة من لسـاني
ياخليلي لا تلوما محـبا   مع فرط الأسى الذي تكتمان
واذكرا فضله وإن جل شـأنا   ودعاني أشكو الزمان وشاني
ليس يغني السلوان عني شيئا   قضي الأمر فيه تسـتفتيان [٤]

---

(١) كيلاني السابق ٢٣٨ - ٢٣٩ .
(٢) كيلاني السابق ٢٢٠ - ٢٢٢ .
(٣) كيلاني : السابق ٢٠٨ - ٢٠١ .
(٤) الاقتباسات القرآنية ظاهرة في البيتين الأول والأخير ولاغرابة في ذلك فالشاعر بعد أن أتقن علومه المدنية وعدة لغات أجنبية التحق بالأزهر ، وحفظ القرآن الكريم ، ودرس علوم الحديث والفقه .

٥ - ومن أهم السمات الفنية النفسية في الشعر القبطي تدفق كثير من القصائد برنة حزن عالية النبرة تنبي عن شعور حاد بغربة روحية ، وقلق عظيم ، وإحساس قوي بفداحة الخسارة وخصوصا عند رثاء عظمائهم "لأن الأقباط أقلية ، وتعويض خسارتهم في هذا العظيم قد يكون متعذرا ، فهم يجدون فيه عونا وحماية لهم ، ورعاية لمصالحهم " . (١)

* * *

ومن الأدب المسيحي الذي لا يختلف على مسيحيته - ما يسمى "بالترانيم الكنسية" التي تنشد في الكنائس شعرا عربيا يحمل معاني وقيما مسيحية وروحية ، منها المسيحي الخاص بمفهومه العقدي الحاد ، ومنها الروحاني بالمفهوم العام . فمن النوع الأول :

١ - ياسيدي الفادي إليك حنيني
ولرؤيتي إياك كل أنيني
قد ساقني لحماك حسن يقيني
في حبك الوافي جميع ديوني
بدم جرى فوق الصليب ثمين

٢ - إن السعادة حظ سياح السما
ياحسن يوم وصولهم ذاك الحمى
يأتيهم جند السماء مرنما
ويسوع مسرورا بهم متبسما
ويقول أهلا بالألي تبعوني

٣ - حملوا الصليب وما استحوا بي في البشر
بل ما ابتغوا حظا سوى اسمى المحتقر
فليجلسوا حولي على عرش الظفر
وليلبسوا إكليل مجد قد بهر
وليشبعوا من نعمة بيميني (٢)

* * *

(١) كيلاني : السابق ٢٠٤
(٢) من الترنيمة ٢٨٧ من كتاب " ترنيمات روحية " .

ومن النوع الثاني الذي يحمل من المضامين الروحية مالا تختلف فيه الأديان ما جاء في إحدى الترنيمات:

١ - لنا في كلام الإله الصمد   أساس لإيماننا كالجبل
وليس مزيد على ماوعد   لمن يلجئون إلى المتكل
٢ - يقول اطمئن فإني معك   وإني إلهك والعون بي
وإني أقويك كي أرفعك   وأرثي لضعفك مثل الأب
٣ - إذا خضت لج المياه العميق   فلا تقدرن عليك اللجج
أنا لك في الضيق نعم الرفيق   وضيقك أبدله بالفرج
٤ - إذا مادهاك البلا والخطر   فيكفيك من نعمتي ماانسكب
ولاتوقع النار فيك الضرر   فإني أنقيك مثل الذهب [(١)]

ونغض النظر عن شروح الكتاب المقدس (كتب العهد القديم والعهد الجديد) وهي من أدبيات المسيحية الملتزمة، ونقف أمام عمل آخر أدخل في باب الأدب يتعلق بالمزامير[(٢)]، فقد جاءت المزامير في الكتاب المقدس مسطورة مطبوعة بنظام النثر، كما نرى في المزمور التاسع والعشرين لداود : [(٣)]

صوت الرب على المياه . إله المجد أرعد . الرب فوق المياه الكثيرة . صوت الرب بالقوة . صوت الرب بالجلال . صوت الله مكسر الأرز ... الخ

وبداعية أن المزامير - في الأصل العبري - عبارة عن قصائد شعرية صدرت المزامير حديثاً في طبعة مستقلة في صورة شعرية مشطرة مع الالتزام الحرفي للنص الأصلي دون تغيير[(٤)] . وهو عمل يذكرنا بقصيدة النثر . وقد جاء المزمور السابق على النسق الآتي :

صوت الرب على المياه
إله المجد أرعد

---

(١) من الترنيمة رقم (١) من الترنيمات السابقة .

(٢) جاء في « قاموس الكتاب المقدس » أن المزامير مجموعة من الأشعار الدينية الملحنة، غرضها تمجيد الله وشكره كانت ترنم على صوت المزمار وغيره من الآلات الموسيقية، وفي العبرانية يسمى «كتاب الحمد »، كما دعاه المسيح «كتاب المزامير»، وقد عرف باسم مزامير داود، أو داود» فقط بالنسبة لعدد المزامير التي نسبت لداود، وبلغت ٧٣ من ١٥٠ مزمورا .
وقد استغرق تأليف المزامير نحو ألف سنة من أيام موسى إلى العودة من السبي البابلي، أو حتى بعدها بقليل في أيام عزرا، غير أن أكثرها كتب أيام داود وسليمان . [قاموس الكتاب المقدس ٤٣٠، ٤٣٢] .

(٣) الكتاب المقدس ٨٥١ .

(٤) طبعته دار الكتاب المقدس بالقاهرة The Bible Society of Egypt سنة ١٩٩٥، بعنوان (المزامير) .

الرب فوق المياه الكثيرة
صوت الرب بالقوة
صوت الرب بالجلال
صوت الرب مكسر الأرز
ويكسر الرب أرز لبنان
ويُمْرحها مثل عجل
لبنان وسريون مثل فرير البقر الوحشي
صوت الرب يقدح لهب النار
صوت الرب
يزلزل الرب بريه قادش
صوت الرب يولد الإيل
ويكشف الوعور
وفي هيكله الكل قائل مجد
الرب بالطوفان جلس
ويجلس الرب ملكا إلى الأبد
الرب يعطي عزا لشعبه
الرب يبارك شعبه بالسلام [(١)]

* * *

ولانرى لهذا العمل قيمة أدبية تشد النظر، وإن بقيت له قيمة « تنظيمية » تذكرنا - كما ألمعت - بقصيدة النثر أو النثيرة . وقد يقلل من قيمة « التنظيمة » في هذا العمل أن هذه العبارات - التي استقلت كل منها بسطر - جاءت في الترتيب الأصلي بالكتاب المقدس، وقد فصلت كل منها عن الأخرى بنقطة وإن جاءت في سطور كاملة متتابعة .

* * *

ولكن مادة المزامير اتُّخذتْ موضوعات لعمل شعري متكامل يمكن أن يندرج تحت « أدب الأطفال » [(٢)] ففي موضوع المزمور التاسع والعشرين الذي

(١) المزامير : السابق ٥٢ - ٥٣ .
(٢) وعنوانه « خواطر شاعرية في المزامير السنيّة » نظم د. زكريا عوض الله ابراهيم . ولم يظهر حتى الآن إلا الجزء الأول

عرضناه جاءت المنظومة الآتية :

صوت الرب ماأقـــــواه	صوت الرب ماأحـــــلاه
صوت الرب فوق المـــاء	شق البر ما أبهـــــاه
صـــوت الرب فـي الأردن	رجع النهر في مجــــراه
صوت الرب أعطـى نـارا	أكلت ثور إيلـــــــياه
صوت الرب أعطى المـــن	في الصـــحراء ما أغنـاه
أربعين من الأعــــوام	أكل الشـــعب خبز الله
ثوبه لم يبْلُ عليـــــــه	والســـــحاب قد حماه
صـــــار شعــبه معتزا	في حمـــاه ما أوفـــاه
في هيكله أعطـــوا مجدا	واعـــبدوه لاســــواه

..... الخ [1]

وإذا صفحنا عن الكسور العروضية، وعن ركة بعض الجمل يحسب للشاعر أنه لم يلتزم حرفية المضمون، وإن سبح في جو النص، ولم يبتعد كثيراً عن أرضيته الأصلية : فهو نوع لا بأس به من أدب الأطفال الديني .

* * *

وكانت وقائع العهد القديم، كما كانت حياة المسيح - عليه السلام . مجالا واسعاً لأعمال درامية في الأدب المسيحي، ومن أحدثها صدورا مسرحية شعرية طويلة عنوانها « ملحمة آلام المسيح » للدكتور عزت زكي . [2]

وهذا العمل الشعري الطويل يمثل « مسرحية شعرية » مع أنه حمل اسم « ملحمة »، وهو عمل يساير ما «اتجهت إليه الكنيسة منذ فترة طويلة من الالتجاء للتمثيليات الدينية، فقد يبقى أثرها في النفس، ويرسخ في الذهن بعض الأحيان مدة أطول من أثر عظة تسمع، أو مقال يقرأ » [3]

ونرى الشاعر خليل جرجس خليل - وهو من أشهر شعراء الأقباط حالياً - يفضل بإطلاق هذا الشعر الديني على غيره، فخليق بالشعر الديني - على حد قوله - أن يتفوق لأنه يعالج موضوعات إنسانية، ويتمسك بأهداب الأخلاق

---

(١) خواطر شاعرية - السابق ٢٥/١

(٢) نشر دار الثقافة بالقاهرة ١٩٩٠ . وهي من ١٨٨ ص من القطع الكبير .

(٣) ملحمة آلام المسيح : من تقديم القمص مرقص داود للمسرحية ص ٩ .

والمثل العليا، وهي مقاصد سامية تتناسب مع سمو الشعر ورسالته .[(١)]

وموضوع المسرحية - كما هو ظاهر من العنوان - يعرض حياة المسيح ابتداء من إرهاصات الميلاد مع إبراز المظالم والآلام التي تعرض لها المسيح وأتباعه .

والمؤلف - كما تشي المسرحية - متأثر من الناحية الشكلية على الأقل بأحمد شوقي ، وذلك في قدرته على « تصريف القول في الحوادث والحوار والانتقال من قافية إلى قافية تمشيا مع فنية الحوار واختلاف المواقف والأشخاص، ومثل الأوزان الموسيقية التي تستريح لها الأذن، ومثل التكرار في بعض المواقف التمثيلية الساخرة أو المرحة »[(٢)]

ولعل أهم مظاهر تأثر الشاعر بأحمد شوقي الإكثار من الغنائيات وإطالة القطعة الواحدة إلى عشرات الأبيات بحيث يمكن أن تحسب في عداد القصيدة الواحدة المستقلة، كالذي جاء على لسان «يهوذا» من ستين بيتا متتابعة دون تدخل بالحوار من شخصيات أخرى .[(٣)]

ومن النقاط التي تحسب للشاعر براعته في بعض الحوار الداخلي كالذي أجراه على لسان «يهوذا» وقد وقع تحت عذاب الشعور بعقدة الذنب لغدره بالمسيح :

أي ليل أنت ياليل حياتي   أي تعس أنت ياتعس مصيري
ويح نفسي ياالهول الظلمات   من دجى البطن إلى ليل القبور
هيه أمي أنت أشقى الأمهات   جئت بي للتعس والهول المرير
أي رعب سألاقي في مماتي   وعذابات إلى دهر الدهور ..

آه من نفس ستشقى
آه من هول سألقى
آه هل قد ضعت حقا
من ترى يمحو شروري ؟[(٤)]

* * *

---

(١) من تقديم خليل جرجس لمسرحيته . ص ١١ .
(٢) من تقديم الشاعر لمسرحيته ١٣
(٣) المسرحية السابقة ١٤٢ - ١٤٥ . ومن هذا القبيل ماجاء على لسان « يورام » ٨٨ - ٨٩
(٤) المسرحية ١٣٢

والمسرحية معرض لكثير من المعتقدات المسيحية والمعجزات التي جاء ذكرها في الأناجيل كتحويل المسيح الماء إلى خمر في « عرس قانا » [١] وعقيدة الفداء، وقيام الموتى والمسيح من قبورهم . [٢]

ويعيب المسرحية غير قليل من التفكك، وضعف الرابطة النفسية والفنية بين بعض المشاهد، وإقحام بعضها بلا داعية فنية أو موضوعية كمشهد « رقصة الشياطين » [٣] ولكن المسرحية - بصفة عامة - تمثل - باعتراف ناظمها - « الأدب المسيحي » [٤] ، وإن كان يرى أنها مسبوقة في الأدب الغربي بعشرات من المسرحيات الشعرية وغير الشعرية التي تصور حياة المسيح كلها أو بعض فصول منها، ويعترف الشاعر بتأثره - إلى حد ما - بهذه الأعمال . [٥]

ومن هذه الأعمال « التراجيديا الإلهية » للشاعر « لونجفيلو »، ومسرحية « القيامة » لجون ماسفيلد . ومسرحية « الآلام » الألمانية التي يقوم بتمثيلها كل عشرة أعوام أهالي مدينة « أوبرا كرجاو »، وذلك من ثلاثمائة عام وفاء لنذر بعد أن رفع الله عنهم وباء الطاعون . [٦]

* * *

وبعد هذه المسيرة يتبين لنا أن الساحة الأدبية يعيش عليها « أدب مسيحي » عربي شعري ونثري ينطلق من تصور عقدي صريح، وينتصر للقيم والأخلاقيات والمعطيات التراثية المسيحية، ويعيش واقع المسيحيين السياسي والاجتماعي . ومبدعون أدباء مسيحيون عالجوا موضوعاته بكل الأجناس الأدبية من قصص ومسرحيات وقصائد شعرية .

---

(١) المسرحية ٥١ .
(٢) المسرحية ٦٥ .
(٣) وهو المنظر الأول من الفصل التاسع ١٦٨ - ١٧١ .
(٤) من تقديم الشاعر للمسرحية ٢٣ .
(٥) من تقديم الشاعر للمسرحية ٢٤ .
(٦) السابق نفس الصفحة .

الأدب الصهيوني

من حقائق التاريخ الثابتة أن قدماء اليهود لم يجاوزوا أطوار الحضارة السفلى التي لاتكاد تُميّزُ من طور الوحشية، وحينما خرج هؤلاء البدويون الذين لا أثر للثقافة فيهم من باديتهم ليستقروا في فلسطين وجدوا أنفسهم أمام أمم قوية متمدنة منذ زمن طويل ... فلم يقتبسوا من تلك الأمم العليا سوى أخس مافي حضارتها، أي لم يقتبسوا غير عيوبها وعاداتها الضارية ودعاراتها وخرافاتها .[١] وإذا عدوت العهد القديم وجدت بني إسرائيل لم يؤلفوا كتابا .[٢]

ومزاجهم النفسي - كما يستنبط من أسفارهم - ظل على الدوام قريباً جداً من حال أشد الشعوب بدائية، فقد كانوا عُنُد مندفعين غُفّلا سُذجا حفاة كالوحوش والأطفال .[٣]

وقد أضاعوا خلال البادية من غير أن ينالوا شيئا من النمو الذهني الذي هو تراث القرون .[٤]

وإذا أريد وصف المجتمع اليهودي من ناحية النُّظم أمكن تلخيصه في كلمتين هما : نظام رعائي مع طبائع المدن الآسيوية الهرمة وذوقها وخرافاتها .

ويعبر « حزقيال » عن ذلك الرأي في الفصل السادس عشر حين يذكر ظهور الشعب اليهودي الحقير وأوائله الهزيلة، وماعقب استقراره بفلسطين من الحميا، فيقول مخاطباً تلك الأمة العاقة :

« وفي جميع أرجاسك وفواحشك لم تذكري أيام صباك وإذا كنت لم تشبعي زنيت مع بني آشور، ولم تشبعي .. فلذلك أقضي عليك بما يقضي على

(١) غوستاف لوبون : اليهود في تاريخ الحضارات الأولى ٢٠.
(٢) لوبون : السابق ٢٢
(٣) لوبون : السابق ٥٨
(٤) السابق نفس الصفحة :

الفاسقات وسافكات الدماء، وأجعلك قتيل حنق وغيرة . [١]

ومع ذلك ترعرعت قناعة شديدة بين كثير من غير اليهود أن اليهود شعب متفوق يعيش حالياً بين شعوب أخرى ولابد من إعادته إلى وطنه القديم في فلسطين حيث نمت جذوره وتقاليده وخواصه المتميزة، ونبذته فكرة أن القوة السماوية هي الوسيلة لإعادتهم إلي فلسطين لتحل محلها فكرة النشاط والإنجاز البشري، وبخاصة جهود اليهود وغير اليهود المشتركة . [٢]

ومن ثم نشأت الصهيونية Zionism فكانت ومازالت دعوة وحركة عنصرية دينية استيطانية إجلائية مرتبطة نشأة وواقعاً ومصيرا بالإمبريالية العالمية، تطالب بإعادة توطين اليهود وتجميعهم وإقامة دولة خاصة بهم في فلسطين بواسطة الهجرة والغزو والعنف كحل للمسألة اليهودية .

والكلمة نسبة إلى «صهيون » اشتقها «ناتان برنباوم » سنة ١٩٨٠ ليصف بها تحول تعلق اليهود بجبل صهيون وأرض فلسطين من البعد «الديني الماشيحاني» القديم إلى برنامج سياسي استعماري إقليمي يستهدف عودة الشعب اليهودي إلى فلسطين . [٣]

* * *

وقد وجدت الصهيونية الرومانتيكية تعبيرا لها في أدب القرن الثامن عشر وكتاباته السياسية، فلم تعد الشخصيات اليهودية بارزة فحسب، بل إنها كانت تعامل بأشد الاحترام، ولاتقدم هذه الشخصيات كأفراد بل كأعضاء في أمة تحظى بالشفقة أحيانا بسبب ماتقاسيه من ويلات، وتنال -في الغالب- الإعجاب بسبب طاقتها الهائلة على الاحتمال والبقاء . وكان اليهود يلقون دائما التشجيع للعودة إلى كيانهم القومي الأصلي في فلسطين . [٤]

* * *

وعلا صوت الأدب الداعي للصهيونية والمناصر لها، وهي أصوات رفعها

---

(١) السابق نفس الصفحة :
وعن كيفية انحراف اليهود بذينهم السماوي إلى وثنية عاتية وتصورات عقدية وفكرية هابطة، وسلوكيات بعيدة عن الدين والخلق بعد موسى : راجع :سيد قطب : خصائص التصور الإسلامي ٣٩ - ٤٦ .

(٢) ريجينا الشريف : الصهيونية غير اليهودية : جذورها في التاريخ الغربي ٩٢ -٩٤ .

(٣) د. عبد الوهاب الكيلاني وأخرون : موسوعة السياسة ٣/٦٥٩

(٤) ريجينا : مرجع سبق ٩٤ .

كبار من شعراء الغرب وكتابه، ومن أشهر هؤلاء الشاعر الإنجليزي «لورد بيرون» (١٧٨٨ - ١٨٢٤) [١] الذي كان يعبر دائما عن إعجابه بالعظمة الكامنة في قدرة الشعب اليهودي، وتناول في كثير من قصائد مجموعته الشعرية «الألحان العبرية» سنة ١٨١٥ الأفكار التوارتية والفلسطينيين، وقد جعل خاتمة أشهر قصائد هذه المجموعة وهي بعنوان «ابك من أجل هؤلاء» المقطع التالي:

أيتها القبيلة الكثيرة التجوال

وذات الصدر المرهق

كيف ستستقرين وتشعرين بالراحة

إن للحمامة عشها

وللثعلب وكره

وللبشرية وطنها

أما إسرائيل فليس لها إلا القبر [٢]

ويركز «بيرون» - في قصائد أخرى - على الرابطة الأبدية بين فلسطين واليهود. وقد سافر الشاعر نفسه إلى فلسطين عام ١٨١١، وعبر عن صدمته بما شاهده من بؤس وفقر في الأرض المقدسة. وتدعو قصيدتاه «الغزال البري» و«يوم هدم تيتوس المعبد» للعودة وتحرير الأرض» [٣].

* * *

ونرى «السير والترسكوت» - أول الروائيين الكبار في القرن التاسع عشر - يرسم في روايته «أيفانهو» شخصية يهودية ذات ميول صهيونية، وهي شخصية «ربيكا» إنها شخصية مثالية للمرأة اليهودية، وهي مخلصة في الدفاع عن قومها، وتعطي الدليل على أن «سكوت» كان متعاطفا مع وضع اليهود ومشاعرهم، وسكوت في تصويره لربيكا لايرثي لمصيبة الشعب اليهودي فحسب، ولكنه يدعوهم للعمل، لأن «صوت البوق لم يعد يوقظ يهوذا» [٤].

(١) عاش «لورد بيرون» حاقدا على المسلمين والدولة التركية، وكان أحد أعضاء «مذهب الفعالية». وهو مذهب يؤيد استعمال العنف لتحقيق الأغراض السياسية. ولاقى بيرون حتفه، وهو يحارب في اليونان ضد الأتراك.

(٢) ريجينا: مرجع سبق ٩٣ - ٩٤

(٣) السابق ٩٤.

(٤) انظر السابق ٩٥

وهذه الفكرة، أو هذا الشعار « صوت البوق لم يعد يوقظ يهوذا » أصبح له هيمنة على كثير من الإبداعات الصهيونية خصوصا القصص، كما نرى في قصة الكاتب الصهيوني « ش . د بونين » « مآخذ الشيطان على فاوست » . (١)

والكاتب يريد أن يقول في هذه القصة ينبغي على اليهود أن يدركوا أن العالم كله - حتى القوى السماوية فيه - لاتعبأ بعذابهم ، بل إنها تنتقم ممن يتصدى للدفاع عنهم، فتضعه مثلهم موضع العذاب كما يحدث للشيطان في هذه القصة . وبالطبع فإن الدعوة تكون : إنه ينبغي لليهود أن يتجمعوا في مواجهة هذا العالم الشرير . (٢)

* * *

ويعزف «وليم وردزورث » على وتر مشابه « لبيرون » في قصيدته « أغنية لليهودي المتجول » وقصيدته « أسرة يهودية » . (٣)

* * *

وكان « روبرت براونج » شاعراً ضليعا في الأدب اليهودي، وقد ساعدته معرفته بالعبرية على قراءة العهد القديم ، وكان اليهود في نظره مثالا للتواصل، وسيتجلى مستقبلهم القومي في فلسطين . وجاء في قصيدة نظمها سنة ١٨٥٥ :

سيرحم الله يعقوب
وسيرى إسرائيل في حماه
عندما ترى يهوذا القدس
سنضم لهم الغرباء
وسيتشبث المسيحيون ببيت يعقوب
هكذا قال النبي
وهكذا يعتقد الأنبياء (٤)

* * *

والأدباء والشعراء الذين ذكرناهم سابقا قد تشربوا الفكر الصهيوني قبل

---

(١) ارجع إلى القصة ١٢٩ - ١٣٨ من كتاب : الأدب الصهيوني بين حربين : حزيران ٦٧ - تشرين ٧٣ . للدكتور ابراهيم البحراوي .
(٢) البحراوي : السابق ١٤٠ .
(٣) انظر مقاطع من القصيدة الثانية ص ٩٦ . من كتاب : الصهيونية غير اليهودية لريجينا الشريف .
(٤) انظر السابق ٩٧ .

نشوء إسرائيل مع أنهم ليسوا يهودا، فقد كان هناك فريق من المسيحيين يطلق عليهم « الصهاينة المسيحيون Christian Zionists جلهم من البروتستانت نتيجة لمعتقدات دينية غيبية تقول بضرورة عودة اليهود إلى فلسطين أو جبل صهيون في القدس تمهيدا لهديهم إلى المسيحية، وللخلاص النهائي لهم وللبشرية جمعاء .

ومن أهم هؤلاء : نابليون بونابرت الذي حاول الاستعانة باليهود عند حصاره لمدينة عكا في فلسطين . ولورنس أوليفانت السياسي الإنجليزي الذي استوطن فلسطين ، وساعد الصهاينة من ضمن خدمته للمصالح البريطانية . بالإضافة إلى بعض كبار الساسة والأدباء البريطانيين في القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين مثل اللورد بلفور صاحب الإعلان الاستعماري الصهيوني المعروف . (١)

وهذا الملحظ يقودنا إلى حقيقة مؤكدة وهي أن الأدب الصهيوني نما وترعرع منذ بداياته الأولى في مجتمعات مكنته من بلورة قواعده وأعطته من سماتها مالايمكن معه فصل هذا الأدب عن ذلك الواقع : الأدب الروسي كان قاعدة انبعاث بل خلق الأدب لدى الكثير من الأدباء اليهود الذين عاشوا هناك أمثال : سمولنسكين واليعازر بن يهودا وبنسكر وأحاد هاعام وبياليك وغوردون وغيرهم نهلوا من المصادر نفسها التي وردها الأدباء الروس، وكتبوا بلغتهم .

وهناك رتشارد جيمس غوتهيل والحاخام ليون ماغنس ومناحيم كابلان الذين تأثروا بالأدب الإنجليزي، أما الثقافة الألمانية فقد طبعت نتاجات موسى هس وهيرتزل وماكس نوردو بطابعها . وكان موسى بن ميمون قد كتب أغلب نتاجاته باللغة العربية حتى أنه حاكى العرب في أوزانهم الشعرية وضروبهم البديعية والبلاغية وإن كانت أحرف نتاجاته بالعبرية .

هؤلاء - وغيرهم - يشكلون قادة الفكر الصهيوني عبر مراحل تاريخية مختلفة، وهم أيضا رواد مايسمى بالأدب الصهيوني رغم اختلاف اللغات المستعملة والتراث الأدبي المتعامل معه، إلا أنهم ظلوا محصورين ضمن أطر أيديولوجية ضيقة « شعب الله المختار » - « العقل الإنساني » - « أصحاب الوعي الإلهي » ...

وإذا ماقسنا « الأدب الصهيوني » إلى آداب الأمم الأخرى خرجنا بنتيجة

(١) الكيالي وآخرون : موسوعة السياسة ٣ / ٦٥٧

مؤداها أن هذا الأدب الصهيوني إن هو إلا تعبير لايغوص إلى العمق إنما يسير باتجاه السطح لغاية اعلامية تخدم أهدافا سياسية في العصر الحاضر كما كانت في العصور الوسطى .[(١)]

واستقراء إبداعات هذا الأدب يقودنا إلى حقيقة أخرى وهي أن الأدب الصهيوني قد سبق الصهيونية السياسية في بلورة الأفكار الشوفينية والإعداد لاغتصاب فلسطين، فالبناء الهيكلي العام للأدب العبري كان منذ ماقبل مرحلة إنشاء المجتمع الصهيوني جزء من البناء الأيديولوجي السائد، وواحدة من أدوات التبشير الأيديولوجي وآلة من آلات التوجيه القيمي والنفسي للقارئ في إطار البرامج العملية للأيديولوجية النظرية .[(٢)]

ولم يكن نجاح الجهود الصهيونية في إنشاء إسرائيل عام ١٩٤٨ نقطة تحول في اتجاهات الأدب العبري الأساسية إلا من حيث اتجاه قطاع منه إلى الاهتمام بمشكلات الصهر الاجتماعي داخل المجتمع الإسرائيلي ، لقد كان هذا النجاح نقطة تأكيد حسية على صدق مقولات الأيديولوجية الصهيونية وقابليتها للتحقيق الواقعي في نظر جماهير الصهيونية، وبالتالي كان هذا النجاح تثبيتا لاتجاهات الأدب العبري المعاصر السابقة في تصور الذات اليهوية وعلاقتها بالعالم الخارجي والأرض العربية . ذلك أن الأدب العبري الذي دخل تحت جناح الحركة الصهيونية السياسية عند نشأتها، بل وراح يمهد لها التربة قبل ظهورها منذ عام ١٨٨٠، وهو بداية مايعرف في المصادر الصهيونية بأنه « عصر الإحياء القومي اليهودي » .. نشأ متشبعا بفلسفتها، ومعبرا عنها سواء في جانبها الوصفي أو في جانب الحلول التي تقدمها لأوضاع الأقليات اليهودية في العالم . ومن هنا غلبت مقولات هذه الفلسفة ومناظيرها في تصور الذات والعالم الخارجي على الرؤية السائدة في هذا الأدب وطبعته بطابعها .[(٣)]

* * *

والحقيقة الثالثة هي أن الأدب الصهيوني ابتدأ أشعارا دينية وتراتيل وأدعية وأشواقا رومنتيكية موضوعها التوراة وأرض الميعاد، والتطلع المستمر

---

(١) انظر جودت السعد : الأدب الصهيوني الحديث بين الإرث والواقع .
(٢) البحراوي : الأدب الصهيوني : مرجع سبق ١٤
(٣) البحرواي : السابق ٢٤ -٢٥

إلى « الأرض الخالية » التي تنتظرهم « لإعمارها » ونقل « الحضارة » إليها، ولما لم يكن يربط اليهود في أرض الشتات روابط جغرافية واجتماعية لجأت الصهيونية الأدبية إلى اللغة العبرية لتكون الخيط الواصل بين فئات مختلفة المشارب والأهواء ، وحاربت كل توجه لإلغائها، أو استبدالها بلغات أخرى حتى لغة « اليديش » التي يستعملها يهود أوروبا الشرقية (وهي مزيج من العبرية والألمانية والسلافية) ... فالعبرية - في نظر الصهاينة - هي اللغة القومية التي تحمل سمات مميزة، وتهدف إلى غاية مرتبطة بالتاريخ التلمودي، وصاحب هذه المبادرة هو الصهيوني الأديب « آحاد هاعام » الذي طرح شعار « آخر يهودي، وأول عبري » ، والذي صار شعارا صهيونيا في الميدان الثقافي والسياسي .[(١)]

* * *

والأدب الصهيوني - في مجموعة - أدب ملتزم كما يرى عدد كبير من الباحثين : فهو شديد التعبير عن الواقع الاجتماعي والسياسي الإسرائيلي . ويجمع هؤلاء الباحثون على أن مفهوم الالتزام في الأدب يعد واحدا من أبرز المفاهيم المسيطرة على الحياة الفكرية والأدبية في رسرائيل . وتعلق الباحثة الدكتورة « ريزال دومب » على شيوع هذا المفهوم في الأدب الإسرائيلي بقولها «إن الكتاب اليهود في العصر الحديث اعتنقوا فكرة حركة التنوير التي آمنت بدور الكاتب كمعلم للمجتمع، لقد استشعروا عبء وعيهم ومسئوليتهم الاجتماعية .

وتدل هذه المقولة على أن الأدباء الإسرائيليين شديدو الارتباط بواقعهم وبظروف مجتمعهم . ونظرا لسيطرة نزعة الالتزام في الأدب على فكر الكتاب الإسرائيليين، فقد كان من الطبيعي أن يسيطر الاتجاه الواقعي على الأعمال الأدبية الصادرة في إسرائيل .[(٢)]

وهذا الالتزام الحاد انعكس في الأعمال الأدبية الصهيونية شوفونية عدوانية تتفجر بالغضب الذي يقف أمام التسامح منذ البداية مقاوما أي تطلع جدي لحل « المشكلة اليهودية » ممارسا التزوير وقلب الحقائق ، مرتكزا على أحداث الماضي لتبرير أحداث مستحدثة تبعد عن ذاك الزمان وذاك المكان، مثيرا عداء

---

(١) انظر : جودت السعد : مرجع سبق ٢٠.

(٢) د. جمال أحمد الرفاعي « اشكالية الاندماج الطائفي في شعر يهود الشرق في اسرائيل ١٣٢ (بحث منشور في مجلة عالم الفكر الكويتية من ص ١٣١ - ١٥١ المجلد ٢٤ - العدد ٣ - يناير ١٩٩٦)

الشعوب بسلوكيته الشاذة على الصعيد العملي والنظري .[١]

ومن القصائد الناضحة بهذه الروح قصيدة الشاعرة الإسرائيلية « أنا نجرينو »[٢] وفيها تقول :

أوصتني أمي منذ الطفولة
ليكن عملك بتصميم وتعصب
حتى لو امتدت يدي يوما بغضب
لاتغفري لي
ابنتي ، ولاتسمحي
قالت لي أمي بأني
ابنة لشعب غني بالأسفار
والأغيار جهلة
حثتني أن أكون بالمقدمة
لأني يهودية
قالت أمي :
إنني ابنة شعب
لايقبل الضياع
واجبي مواصلة الدرب
درب أبي
لمواجهة الأغيار الأعداء
ولو كانوا كل العالم

* * *

وهذه الروح العدوانية المتعالية انعكست كذلك في الإزراء بالعربي الفلسطيني، والتحقير من شأنه، ووصفه بأحط الصفات فبعد تنفيذ وعد بلفور وظهور الفلسطيني المقاتل من أجل حقوقه المشروعة وصف في أدبيات الصهاينة بأنه إرهابي وجبان ومتوحش ومثير للرعب، وأنه لايقوم بعملياته العدوانية إلا في الليل، أما النهارفإنه يرتدي فيه لباس المسكنة والضعف، يقول « أحاد هعام »

---

(١) جودت السعد : السابق ٣٥
(٢) نشرتها صحيفة عل همشمار الصهيونية الصادرة بتاريخ ١٩٧٨/٩/١٥

: إن المستوطنين الصهاينة يعتقدون أن العرب جميعا متوحشون، يعيشون مثل الحيوانات، ولايفهمون مايدور من حولهم .[١]

ويقول « ج . كوهين » : إن العربي مجرد مخلوق غريب، يرتدي جلبابا ممزقا، وغطاء قذرا للرأس، وتلتف زوجته بثوب أبيض، ويسير أطفاله حفاة ... إنه ليس قذرا فحسب ، بل هو أيضا لص وكذوب وكسول وعدواني .[٢]

ويقول « عاموس عوز » في قصة « البدو الرحل والثعبان » : إنهم يسرقون ثمار الفاكهة غير الناضجة التي في البساتين ، ويفتحون الحنفيات، ويسرقون حظائر الدجاج، وينتفون ريش الطيور[٣]

ويصف « س. يزهار » القرى العربية في قصة «خربة جزعة» عندما كان موجودا في السهل يستعد مع زملائه للهجوم على القرية، فيقول « ... العرب القذرون المتسللون لإحياء نفوسهم القاحلة في قراهم المهجورة ... أي دخل لنا ولشبابنا وأيامنا الغابرة بقراهم المقملة والمبقة والمقفرة والخانقة، هذه القرى الخاوية سيأتي اليوم الذي تبدأ فيه الصراخ »[٤]

* * *

ومقابل هذا يصور الأدب الصهيوني « شخصية الإسرائيلي » بصورة البطل المغوار الذي يحقق النصر . ففي إحدى قصائدهم[٢]

اعتمر الخوذة

استعدادا لمسيرة الدم

جائلا بعينيه إلى النار الحمقى

امتشاق السيف جزء من آدميته

لرعشة الفرح

وإحالة الحرب إلى سعادة

* * *

وارتفع مؤشر معنويات المستوطنين بعد رحلة السادات إلى القدس، وعبروا عن ذلك بالرقص في شوارع تل أبيب والقدس وحيفا وغيرها ... أما

(١) د. محمود حميدة : الشخصية العربية في القصة العبرية القصيرة المعاصرة ٩٨
بحث منشور في مجلة عالم الفكر الكويتية مجلد ٢٤ العدد ٣ - يناير ١٩٩٦
(٢) السابق : نفس الصفحة
(٣) السابق
(٤) السابق ١٢٣

الأدب الذي شارك المستوطنين اغتباطهم - فقد كان أكثر تعبيرا عن حالة « الانتصار » الذي حصلوا عليه دون ضحايا ، كتب الشاعر الصهيوني « ديدي منوسي »

لنتنفس الصعداء
فإذا لم نكن نعيش حلما
فلنقيد كل شروطنا
ومتطلباتنا
بتأكيد عدم الفصل
(بين مانريد ومانأخذ) (١)

وتزداد درجة التعالي والتشامخ بعد إقرار « كامب ديفيد » التي جسد مبادئها الشاعر الصهيوني « ديدي منوسي » في قصيدته « الغيبوبة الساحرة » :

جود جلالته
(رغبات الشعب)
كقصة جميلة
كقلعة راسخة
الوضع الآني
في كامب ديفيد
كالقصة المذكورة
بلا ابتسام
تكشف سترها
الصور الأولية
بلا تهديد ولاحرد
(هذا الهدوء يضاعف مجدنا)
دون أن نطلبه
أعطينا إياه
واقتسمنا السلطة

---

(١) نشرت في صحيفة معاريف بتاريخ ١٠/٥/١٩٧٨

لاتظاهرات
داعية
للحذف والتأجيل
ولا اراك تشكك بالموضوعات
الكل بصدق يعملون
مفاهيم تطرح بحذر
والكل يعمل حتى السحر
لترسيخ الآمن
والاستعداد للحرب
الأرباح مدار البحث
ماضيا وحاضرا
فالمواضيع
تحتاج للمراقبة
الوضع الآني
في مباحثات كامب ديفيد
كقصة جميلة
كقلعة راسخة
كذلك تذكر الأساطير
مجرى أحداث وأمور
ومواقف
دمر (بيت الملكة)
قبل الأوان
رغم اليأس والبكاء
بكامب ديفيد تكمن الحياة
هناك (إذا لم تحكم الرغبة)
فسيفرض السلاح
نفسه [١]

---

(١) نشرت في صحيفة « يدعوت أحرونوت » الصادرة بتاريخ ١٩٧٨/١٠/٦

* * *

ونكتفي بهذه النماذج من الأدب الصهيوني فهي - في مجموعها - تبرز أهم سمات هذا الأدب وطوابعه :

- فهو أدب أيديولوجي ملتزم ، وكثير منه ينطلق من مرتكزات توراتية دينية حادة .

- وهو في تعامله مع المواضعات العالمية العامة، ومعايشته للمواضعات السياسية والاجتماعية الوطنية تهيمن عليه مجموعة من العقد المتناقضة كعقدة الضعة، وعقدة الشعور بالاضطهاد وعقدة الاستعلاء التي تجسدت عنده أخيرا (١)

- وهو أدب عنصري، اتخذ من مقولة « معاداة الآخرين للسامية » منطلقا لمعاداتهم للآخرين والدعوة إلى الانتقام منهم عسكريا واقتصاديا واجتماعيا، وتمجيد الصهاينة « كنعصر » راق له تميزه وتفرده عقليا ونفسيا .(٢)

* * *

وبعد هذه المسيرة التي طالت بعض الشيء يتضح لنا في جلاء أن هناك آدابا أيديولوجية ودينية لها مكانها ومكانتها على المستوى العالمي ، ولكل أدب منها كتابه الملتزمون :

- فهناك أدب ماركسي يرفع لواءه شيوعيون يؤمنون بالماركسية
- وهناك أدب وجودي يبدعه وجوديون مؤمنون بالوجودية (٣)
- وهناك أدب مسيحي عالج كل الأجناس الأدبية، له كتابه وأدباؤه من المسيحيين .
- وهناك أدب صهيوني له ملامحه وطوابعه المميزة ينتجه يهود صهاينة.

---

(١) انظر مظهر العقدتين : الضعة والاستعلاء في قصيدة (حقيقة منبت الشعب) للشاعر الصهيوني «بياليك » ٣٣ -٣٤ من كتاب الأدب الصهيوني « لجودت السعد » .

(٢) ارجع إلى قصة (العشب الأحمر يشتعل في بطء) لبنحاس ساديه ٩١ - ١٢٤ وقصة (ثوم) ل « أفرام بن موشيه : ١٤١ - ١٤٧ وقصة (مهاجر) ل (ي . ابي شبي ماءور) ١٤٩ - ١٥٥ . وقصة (المهربة) بقلم (جدعون تلباز) ١٥٧ - ١٦٤ .
من كتاب : الأدب الصهيوني بين حربين للدكتور إبراهيم البحراوي .

(٣) كان لبعض كبار الوجوديين منازع صهيونية، ومن هؤلاء «جان بول سارتر » الذي كان شديد العناية بالدفاع عن السامية والحملة على حركة المقاومة لها Antisemitism كما وصفها في محاضرة مطبوعة ترجمت إلي الإنجليزية ونشرت في إبان معارك فلسطين بعنوان «صورة عدو اليهود : Portrait of the Anti Semite

عباس العقاد : بين الكتب والناس ٢٥

وقد لايعلن هؤلاء صراحة اشتراط « الهوية العقدية والدينية » في المبدع حتى يحكم على أدبه بالهوية نفسها، فتلتقي هوية الأدب وهوية الأديب أي هوية النص بهوية الناصّ، وذلك لأن هذا الشرط متحقق في المبدع بداهة، ولا يحتاج إلى نص يلح عليه وينبه إليه . والخروج على هذا الوصف يعد استثناء لايقاس عليه . فلماذا يرفض كتاب ونقاد « مسلمون » اشتراط « مسلمية المبدع » حتى يصدق وصف الإسلامية على إبداعه ؟ !!

الفصل الثالث

مسلمية الأديب شرطاً

المسلميّة شرطا ...

كثيرا ما نقرأ عبارة مشهورة تتردد على الأقلام والألسنة وهي أن "العبرة ليست بالذي قال ، ولكن العبرة بالذي قيل" وهي مقولة قد تكون صحيحة في بعض جوانب الحياة والتعامل ، ولكنها لا يمكن أن تمثل قاعدة مطلقة ، فقد يكون "للذي قال" اعتبار لا يقل أهمية عن "الذي قيل" .

واتجاه النص الأدبي ، وبطائنه ، وأبعاده ، ومراميه .. كل أولئك أو بعضه قد يخفي على الدارس إذا لم يُعرف الناص ولو معرفة عامة ، بل قد يتوقف الفهم الدقيق للنص بكل مشتملاته على المعايشة الطويلة العميقة للمبدع في أحواله وأطواره المختلفة . وانطلاقا من هذا الحكم نقول إن العطاء الفكري والنفسي وأحيانا الجمالي للنص يختلف في نظر المتلقي باختلاف الناصّ ، ولنمثل لهذه الفرضية المتخيلة ببيت أبي العلاء المعري :

هذا جناهُ أبي عليَّ وما جنيتُ عليَّ أحد

فأبو العلاء الفيلسوف أو المتفلسف يرى أن وجوده في هذه الحياة مأساة عاشها مرغما ، وتولىّ كِبْر هذه الجناية أبوه الذي أنجبه . وليست هي مشكلة خاصة ، بل هي مأساة الجنس البشري كله ، وقد ألح أبو العلاء على هذا المعني كثيرا في اللزوميات ، ومن ذلك قوله :

ضَحكْنا وكان الضحْكُ منَّا سَفَاهَةً

وحُقَّ لسكانِ البسيطةِ أن يبْكُوا (١)

ولو فرضنا أن قائل البيت " عنترة بن شداد " لكان البيت تعبيرا عن معاناة شخصية خاصة تتمثل في إنكار أبيه له لأنه ابن أمه .

ولو فرضنا نسبة البيت إلى سحيم عبدبني الحسحاس .. العبد المتهتك

---

(١) اللزوميات ٢١٦/٢

العربيد، لتخيلناه يقوله والنار تلتهمه تنفيذا لأمر الخليفة عثمان بن عفان لعدوان سحيم بلسانه على حرمات المسلمات الحرائر ، وما قاله إلا شاكيا ضياع نسبه ، وانعدام الأب الذي يوجهه التوجيه الرشيد السديد .

أما ابن الرمي فجناية أبيه عليه أنه تركه للفاقة والحرمان ، فعاش ذليلا مستضعفا ..

وبعد هذه الافتراضية ، وعودا على بدء نقول " إن العبرة - في التعامل مع النص الأدبي - بالذي قال والذي قيل " أي بالنص والناص ، أي بالإبداع والمبدع.

* * *

فالكلمة الواحدة - كما يقول العقاد - تختلف معانيها باختلاف قائليها ، فيؤبه لها من قائل ، ولا يلتفت إليها من قائل غيره لأن الكلام جزء من الإنسان ،وليس بحركات تتموج في الهواء ، وتقع في الآذان ، فإذا أردت أن تعرف الجزء فلا محيص لك من الرجوع به إلى كله الذي تجزأ منه ، وإذا أحببت أن تفهم الكلمة فافهم المتكلم ، لأنها من معدنه أخذت ، وبميزانه تعتبر وتوزن ...

ويضرب العقاد مثلا " بأميل لودفيج " لتأييد وجهة نظره السابقة - والتي نؤمن إيمانا مطلقا بصحتها - ولودفيج هو صاحب السير عن المسيح ونابليون وبسمارك وجيتي وولهم الثاني وغيرهم . حضر لودفيج إلى مصر ، فلم تعجبه آثارها القديمة ، وقال في كتابه " على شواطيء البحر الأبيض " : أما أنا فلا أشعر بشيء من الإجلال في مدافن الفراعنة ولا أستطيع إلا أن أضحك زاريا من عقل ذلك الملك الذي يخيل إليه في حياته أنه قادر على أن يخدع الموت بما يتأهب به من الأهبة النيرونية ... وإن عظام جمل نخرة مطروحة بالعراء لتبلغ من نفسي ما ليست تبلغه هذه الآثار العقيمة التي تخلفها لنا العظمة الملكية ، آثار ملوك يلتمسون لأنفسهم الخلود المزيف ، بدلا من التفكير في خير الرعايا".

ويؤكد العقاد أننا لا نستطيع أن نفهم هذا الكلام حق فهمه لو كنا لا نعلم قبل ذلك أن قائله اشتراكي جمهوري يعز عليه تسخير الرعايا في خدمة أهواء الملوك ، فلودفيج هنا ليس الناقد الفني ولا المؤرخ المستقل ، ولا السائح المتفرج ولكنما المتكلم الذي نسمع رأيه في هذه السطور هو الاشتراكي ، وهو الجمهوري، وهو كاره الأبهة الغاشمة ، وكاره الذل في تسخير العمال ، ويجب أن نعلم هذا لنقوِّم ذلك الرأي بقيمته ، ونلمس موقع البواعث التي حركته ، بل يجب أن نعلم

لم كان " لودفيج " الألماني اشتراكيا ، مطالبا بحقوق الفقراء ، وجمهوريا ساخطا على حكم القياصرة !! ذلك لأنه كان يهوديا ، واليهود كانوا مظلومين في عهد "ولهم الثاني " على الخصوص ، وكان هذا الملك معروفا بكراهة الساميين أي بكراهة اليهود .[(١)]

* * *

ثم من حقنا بعد هذا التوضيح أن نرفض فكرة " موت المؤلف " تلك الأكذوبة الكبرى التي طرحها " رولان بارت " - ١٩١٥-١٩٨٠ في مقال كتبه سنة ١٩٦٨ ، ويرى فيها بعض الحداثيين " مقالة نقدية لها أهمية مصيرية ليس على نقد بارت فحسب ، وإنما على النقد الألسني ، وعلى النصوصية " [(٢)]

وخلاصة هذه الفكرة نراها في النقاط المركَّزَة الآتية :

١ - حينما تبدأ الكتابة يأخذ المؤلف في الموت (أي الانزياح والغياب) ، ونقطع الصلة بينه وبين النص ، حتى لا يكون له هيمنة عليه .

٢ - وحتى يمكن التخلص من سلطان المؤلف : يجب أن نؤمن أنه مجدد ناسخ لميراث نصِّي ينحدر من ثقافات عديدة تتشابه ، وتتعارض ، وتتقاطع .

٣ - يبقى القاريء هو صاحب الدور الأول لأنه هو الفضاء الذي ترسم فيه كل الاقتباسات التي تتألف منها الكتابة [(٣)] والقاريء هنا - كما يقول عبدالله الغذامي - " قاريء منتج " ، لا يوجد إلا بتراجع سلطان المؤلف على النص ، أو بالأحرى لا بد من إزاحة الكاتب عن عمله ، وإحلال القاريء محله لكي يتحرك النص بالقوة الجديدة الطارئة عليه ، ومن هنا يمكن للنص أن تتجدد فيه الحياة ، ويتأسس المرة تلو الأخرى حسب تعاقب القراءات والقراء .[(٤)]

وفكرة موت المؤلف - في عمومها وتفصيلاتها غريبة على الفكر بإطلاق ، كما أنها تبدو تجريدية ، وغير واقعية ، وغير قابلة للتطبيق بمصداقية ، والتعبير عنها جاء أقرب إلى الشاعرية منه إلى الأداء النقدي .

وليس هناك حكمة عملية من موت المؤلف ، أو إزاحته ، والتعامل مع

---

(١) انظر : عباس العقاد : ساعات بين الكتب ٦٥٥ - ٦٥٨

(٢) الغذامي : من تقديمه لكتاب رولان بارت (موت المؤلف) ص ٨ ترجمة منذر العياشي .

(٣) انظر بارت السابق ١٢-٢٠ . والغذامي :الخطيئة والتكفير ٧١ - ٧٤ . وانظر كذلك : فاضل ثامر : اللغة الثانية ١٢٩ -١٣٤

(٤) الغذامي: ثقافة الأسئلة ٢٠٤

النص . "مبتوتا" عن صاحبه . ومن عجب أن يقول الغذامي " إنا نعزل المؤلف عن النص كيف نتعامل معه بموضوعية تامة " . وهي مقولة غريبة لأن الموضوعية لا علاقة لها بوجود المؤلف أو غيابه ، ولكنها أساسا - ترتبط بأخلاقيات المتلقي بصرف النظر عن حضور المؤلف أو غيابه .. فمن الممكن أن تغيب موضوعية المتلقي الناقد لأسباب متعددة مع مجهولية نسبة النص إلى صاحبه ، والعكس صحيح .

ثم هل المؤلف مجرد ناسخ ، وليس مبدعا ، وأن مايقدمه إنما هو من قبيل التناص ؟ إن هذا الكلام الذي ألح عليه بارت والبارتيون - أيسر ما يقال عنه إنه كلام غير علمي ، وإلا لتشابه ، بل تماثل ـ "إنتاج" الأدباء المتقاربين في الثقافة .

* * *

ونخلص من هذا الاستقراء إلى أن الفصل بين الأدب والأديب يعتبر عملا ضد طبيعة الأشياء ، كما أنه أقرب إلى الادعاء النظري منه إلى الحكم العملي ، لأن النهر لا يمكن فصله عن منبعه .. بل هو ينطلق في مجراه حاملا طبيعة هذا المنبع وكثافة مائة وحظها من العذوبة أو الملوحة

* * *

ومن البدهيات التي لاتحتاج إلى إثبات أن الإنسان لايستطيع أن يعيش من غير عقيدة في صورتها المذهبية الأيديولوجية أو صورتها الدينية، حتى عرف بعضهم الإنسان بأنه «حيوان متدين» أي يحتاج إلى الإرتباط بقوى غيبية لها في نظره تعظيم وإجلال، وفي التاريخ الأدبي الغربي بزغت عقيدة جديدة تؤمن بالفن في ذاته، وتجعل منه العقيدة البديل من العقيدة الدينية، ولكن تبين أن الفن في ذاته لايمكن أن يكون عقيدة لأنه قبل كل شيء نتاج بشرى شديد المساس بالحياة، إنه يحتاج دائما إلى العقيدة التي تسنده، وتكون بالنسبة إليه بمثابة نقطة الانطلاق .

وإذا كان الهدف البعيد للشاعر هو تحقيق الإنسجام بينه وبين الحياة، فإنه إنمايعبر بذلك عن الهدف الذي تسعى الجماعة نفسها إليه، ولايتحقق الانسجام بين الجماعة إلا من خلال استيعابه لهذه العقيدة (١)

(١) انظر لعز الدين اسماعيل : الشعر العربي المعاصر : قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية : ٣٧٨، ٣٧٩، ٣٩٤ .

واتساقا مع هذه الحقيقة لانكون غالين مسرفين إذا اشترطنا مسلمية الناص أي الأديب المبدع لننسب إبداعه إلى الأدب الإسلامي » هذا إذا ما كان النص مستوفياً للشروط الشكلية والموضوعية وأهمها الانطلاق من التصور الإسلامي للكون والناس والحياة، فهناك إذن وجهان متكاملان لعملة واحدة : الأديب المسلم والإبداع المستوفي للعناصر والملامح المطلوبة، ولعله من فضول القول بعد ذلك أن نشير إلى الحقيقتين الآتيتين :

١ - مسلمية الأديب (الناص) لايترتب عليها الحكم بإسلامية النص ضربة لازب إذا لم يكن وافيا بالمطلوب .

٢ - ملامح النص واستكماله كل عناصر الأدب الإسلامي ومعطيات القيم الإسلامية لايكسبه صفة الأدب الإسلامي - ضربة لازب - إذا ماكان صادرا من غير مسلم .

* * *

وعلينا في هذا المقام أن نفرق بين الأديب المسلم والأديب الإسلامي، فقد يكون الأديب مسلما وليس له إبداع واحد يستحق وصف الإسلامية، أما الأديب الإسلامي فهو الأديب « المسلم » الذي قدم ويقدم الأدب الرفيع ذا السمات والملامح الإسلامية وكان راسخ القدم عميق الدراسة والفكر غزير العطاء بهذا اللون من الإبداع .

والأدب الإسلامي لايصدر إلا عن مسلم لأن العقيدة السمحة هي مصدر التصور، وهي التي تجعل ذات الأديب « مشبعة بمنهج الله » ، متمتعة باليقين في العقيدة، هذه الذات هي التي تفرز أدبا صادقا مؤثرا يغرس الحق ويقين الاعتقاد في وجدان الأجيال المسلمة ... حتى فن الهجاء الذي غرف بعداوته وكذبه في كثير من نماذج الشعر العربي نجده في كثير من النماذج أيضا يتجه وجهة إسلامية مستمدا مضامينه من فضائل الإسلام سلبا بحيث يختار الشاعر المسلم مهجوه ممن انحرفوا عن جادة الحق وعزفوا عن الاستقامة في الدين » .[1]

وفي التعريفات التي عرضناها في الفصل الأول من هذا البحث لمصطلح « الأدب الإسلامي » رأينا أن الأستاذ محمد بريغش كان هو الوحيد الذي نص صراحة على مسلمية » الأديب « فالأدب الإسلامي هو التعبير الفني الجميل

---

(١) د. محمد صلاح الهادي : الأدب الرسلامي بني النظرية والتطبيق محاضرة ألقاها بكلية التربية الأساسية بالكويت، ونشرتها صحيفة الأنباء الكويتية في العددين ٦٣٢٧ - ٦٣٣٤ في ١٩٩٣/١٢/١٧ - ١٩٩٣/١٢/٢٤ .

للأديب المسلم عن تجربته في الحياة من خلال التصور الإسلامي » ، وإن كانت « مسلمية » الأديب مفهومة ضمنا من كل هذه التعريفات أو أغلبها، ومذكورة في شرح هذه التعريفات وعلى سبيل التفصيل، وبتفريقات بارعة طريفة يرى بريغش أن الأديب لايدخل في إطار الأدب الإسلامي إلا من مدخل « المسلمية » فقط لأن صفة الأديب فقط يشترك فيها مع غيره من الأدباء مهما كانت وجهتهم وصفاتهم، وهي لاتشير إلا لموهبته وقدرته الأدبية فحسب التي تميزه عن بقية الناس في انفعالاته وأحاسيسه وأفكاره، ولذا نرى أن الأدباء يتفاوتون ويتمايزون على أساس معتقداتهم : كلهم يمتلك وسيلة الكتابة والتعبير، ولكن كلا منهم يعبر عما يريد من أفكار، بما يؤمن من أشياء ومُثل، وبالأسلوب الذي يراه مناسباً لهذا الاعتقاد .[1]

* * *

وهناك داعيات أخرى متعددة لاستلزام شرط المسلمية في الأديب تتلخص فيما يأتي .

١) الداعية التاريخية أو داعية الاستصحاب التاريخي : فالأدب الإسلامي الموجود حاليا على الساحة الأدبية في طروحاته المعاصرة من شعر ونثر، والذي يرفع لواءه « رابطة الأدب الإسلامي » في المقام الأول يسترفد -بصفة أساسية - المعينين الأصيلين :

القرآن والسنة من ناحية، وطروحات المبدعين على مدار العصور التاريخية من ناحية أخرى من أمثال حسان بن ثابت وعبد الله بن رواحة وأبي العتاهية وعشرات ممن يدورون في نفس الفلك، وكلهم مسلمون، ولم نجد مبدعا مسلما في وقتنا الحاضر يتخذ مثله الأعلى شاعرا وثنيا كامرئ القيس أو شاعرا يهوديا كالأخطل، وإن لم يخل بعض شعرهم من معان طيبة واعتزاز ببعض القيم التي تتسع لها المفاهيم إسلامية .

« فالأدب الإسلامي المعاصر ينبغي أن يكون امتدادا لأدبنا الإسلامي الذي ظهر منذ فجر الدعوة الإسلامية، واستمر في النمو والتطور على من العصور »[2]

---

(١) محمد حسن بريغش : في الأدب الإسلامي المعاصر : دراسة وتطبيق ٣٧ .
(٢) د. عبد الرحيم الرحموني : نحو رؤية إسلامية للأدب ٩٤ (بحث نشر بالدارة العدد ١٠٤ لسنة ١٩) .

وقد يُعترض على اشتراط « المسلمية » بأن النبي صلى الله عليه وسلم كان معجبا بشعر أمية بن أبي الصلت وهو غير مسلم وكان يستنشد بعض الصحابة شعره ، ومعروف عنه أنه رثى قتلى بدر من المشركين وهجا النبي صلى الله عليه وسلم والمسلمين [1]

ولكن الإعجاب شيء، واتخاذ المثل الأعلى شيء آخر، كما أن الإعجاب كان جزئيا ولم يكن كليا، أي أن النبي صلى الله عليه وسلم كان معجبا ببعض هذا الشعر، ولم يتعد ذلك لا إلى شعره كله، ولا إلى شخصيته شاعراً، ولم يطلب النبي عليه الصلاة والسلام من المسلمين الاقتداء به لاسلوكا ولافنا .

* * *

٢) الداعية النفسية : يمر المسلمون حاليا بمرحلة يمكن أن نسميها « مرحلة التيه »أو الهبوط الشامل » على كل المستويات فكل شيء يسحب من تحت أقدامهم جزءا جزءا : الأرض والكيان أو المكان والمكانة، إنه عصر الغربة القهارة التي تحدث عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم، حتى أصبحت كلمة « المسلم » لاتعكس إلا دلالات الذل والضياع والسفه والتخلف، حتى أن بعض المسلمين الذين يعيشون في المجتمعات الأجنبية كانوا يحاولون إخفاء هذه النسبة الكريمة التي كانت مفخرة المفاخر في القديم، حتى قال أحدهم حينما سئل من أبوك، أقيسي أم تميمي :

أبي الإسلام لا أبا لي سواه إذا افتخروا بقيس أو تميم

وكان منطق القائد في تحميس جنوده على القتال « إننا لا نقاتلهم بعدد أو سلاح، بل نقاتلهم بهذا الدين الذي أكرمنا الله به » .

ومع الأيام تزداد نظرة أعدائنا إلينا استهانة واستخفافا واحتقارا، فليس للعرب والمسلمين في نظر دولة كأمريكا حساب أو اعتبار، ويصدق ذلك على « توابعها » من دول الغرب وإسرائيل .

وأمام هذه الحال لم يعد أمام المسلم إلا أن يكون له موقف من موقفين :

الأول : التنكر والتهرب الإعلامي من إعلان هذا النسب حفظا « للقيمة الذاتية » في نظر « الآخرين » من غربيين ومن يسير على دربهم. وهو موقف

---

(١) سنعرض لهذه المسألة بالتفصيل في الفصل الأخير .

يعجل بالقضاء على هوية الأمة، ويسيء أبلغ الإساءة إلى قيمنا ومرجعيتنا الإسلامية والعربية .

الثاني : التمسك بهذا النسب وتأكيده وإعلانه، والعمل بمقتضاه، وتقويته في مستوييه الاعتناقي والتثقيفي، وهذا يعني «إقامة ذات» إسلامية قوية شامخة لاتؤثر فيها معاول الآخرين .

والأدب الإسلامي يكون في هذه الحال عنصرا مهما جدا في «إقامة هذه الذات» وتقويتها وترسيخها، ويكون اشتراط «مسلمية » الأديب - والحال كما رأينا - لا من قبيل اشتراط «إضافية » أو استكمالية » بل من قبيل اشتراط «جوهرية أساسية» لايقوم الأدب إلا بها » حتى يتمكن المسلمون - في جو هذه المواضعات الخبيثة مقاومة تيار «التذويب النسبي » انطلاقا من منطق الاعتزاز الإيماني، ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين » .

٣) داعية الواقع الأدبي أو المواضعات الأدبية على المستويين : العربي والعالمي ، وقد رأينا في الفصل السابق أن هناك أدبا ماركسيا يعالج موضوعاته من زاوية مادية حادة، ويفرزه ماركسيون شيوعيون . وهناك أدب وجودي بنشره وجوديون . وللمسيحيين أدبهم، وأصبح للأدب الصهيوني كيان ووجود عالمي على أيدي صهاينة عتاة بغاة، ثم أصبح العالمانيون والحداثيون يصلون الليل بالنهار إنتاجا وإبداعا لشغل الساحة الأدبية بالغثاء الكرية، ويتخذون من معاداة الدين والتراث والقيم وأصالة اللغة منطلقا للتدمير والتخريب ..

ومن ثم كان وجود الأدب الإسلامي بأديبة المسلم الملتزم ضرورة للتصدي والتحدي للحفاظ على الدين والتراث وأصالة اللغة والأدب الشريف .

وقد يقول قائل - بل قد قيل فعلا - هذا يعني أنكم تتصرفون بمنطق «رد الفعل»، فالفضل إذن في «إيجادكم » هذا النوع من الأدب يرجع «للآداب الأخرى» وهو ضرب من المسايرة والمجاراة، أو هو نوع من التقليد «بالتضاد » .

وهو منطق واه مرفوض من الواقع والتاريخ، لأن «الأدب الإسلامي» بدأ بانبثاق نور النبوة المحمدية الهادية، ولم ينقطع تياره لحظة من الزمن، وإن اختلفت درجات حيوته على مدار التاريخ لعوامل لايتسع المقام لشرحها . ومايقوم به دعاة الأدب الإسلامي في وقتنا الحاضر ليس عملية «ايجاد » وإنما عملية تقوية وتنشيط «لوجود» مع الإفادة من كل جديد نافع له عملا بقول رسول

الله صلى الله عليه وسلم «الحكمة ضالة المؤمن أنى وجدها فهو أحق الناس بها».

وقد يذهب بعضهم إلى أن الإصرار على تسمية الأدب «بالإسلامي» واشتراط أن يكون الأديب «مسلما» ينم على روح من التعصب الديني غير مستساغ في وقتنا الحاضر ...

وأقول سبحان الله !! فلماذا يستسيغ العالم وصف الأدب بالمسيحي أو القبطي أو اليهودي أو الصهيوني أو الماركسي أو الاشتراكي ... الخ إنها ليست «عصبية» ولكنها «تحديد للهوية» ولا يختلف اثنان في أن من حق أصحاب «الشأن» أن يحددوا هويته وأبعاده وملامحه كما يشاءون .

والأديب المسلم في إبداعه ينطلق من «التصور الإسلامي» في التعامل الفني مع الحياة والكون والإنسان، وهذا التصور هو «التصور الاعتقادي الوحيد الباقي بأصله الرباني، وحقيقته الربانية، فالتصورات الاعتقادية السماوية التي جاءت بها الديانات قبله قد دخلها التحريف في صورة من الصور .. وقد أضيفت إلى أصول الكتب المنزلة شروح وتصورات وتأويلات وزيادات ومعلومات بشرية أدمجت في صلبها، فبدلت طبيعتها الربانية، وبقي الإسلام - وحده - محفوظ الأصول، لم يشب نبعه الأصيل كدر، ولم يلبس فيه الحق بالباطل، وصدق الله في شأنه : «إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون» [(١)]

وربانية هذا التصور يعطيه قيمته الأساسية وقيمته الكبرى فهو وحده مناط الثقة في أنه التصور المبرأ من النقص، المبرأ من الجهل المبرأ من الهوى»[(٢)] وهو كذلك مناط الضمان في أنه التصور الموافق للفطرة الإنسانية الملبي لكل جوانبها المحقق لكل حاجاتها، ومن ثم فهو التصور الذي يمكن أن ينبثق منه ويقوم عليه أقوم منهج للحياة وأشمله» [(٣)] .

وانطلاق الأديب المسلم من هذا «التصور الإسلامي» في إبداعاته يعني أنه «أديب ملتزم»، والتزام الأديب المسلم هنا يختلف عن الالتزام بمفهومه الشيوعي أو الوجودي الذي يعد من قبيل «الإلزام» . إن التزام الأديب المسلم - كما يقول الدكتور هدارة - يعد جزءاً لايتجزأ من عملية الإلهام الفني وليس

---

(١) سيد قطب : خصائص التصور الرسلامي ٧١ -٧٢
(٢) السابق ٧٤
(٣) السابق ٧٥

خاضعا لعنصر الاختيار الواعي المتعمد ... جزءا من نسيج التجربة التي هي لب الأدب، .. وكأن الالتزام في الأدب الإسلامي يعني تجارب حية في وجدان الأديب المسلم وفكره اللذين تشربا التعاليم الاسلامية، بحيث صارت هذه التعاليم وحدها مرادا طبيعيا لتجاربه التي تتسع لكل معاني الوجود والحياة »(١)

فالتزام الأديب المسلم إنما هو استجابة لفطرته السوية من ناحية وتشربه القيم الإسلامية عقيدة وديانة وعلما وثقافة من ناحية أخرى حتى أصبحت هي « ميزان » الأشياء في كل شئون حياته . وأصبح « الالتزام » شكلا وموضوعا - هو الطابع الأساسي بل الوحيد في مسلكه الخلقي والفني ، وماعداه يعد نشوزا وخروجا على الأصل النبيل الكريم .

وحتى يكون « منبع الالتزام » غنيا ثرارا دائما كان على الأديب المسلم أن يكون موصولا دائما بأنقى وأطهر موردين : القرآن الكريم وسنة النبي صلى الله عليه وسلم، ثم عليه « الاتصال بالمؤلفات الموثوقة في نطاق الثقافة الإسلامية المبنية على هذا الأصل ، ومن هنا كان فرضا على من يريد العمل في نطاق الأدب الإسلامي أن يتشبع بهذه المناهل كي يظل في مسيرته على الطريق اللاحب فلا يزيغ بصره عنها ولايطغى (٢) .

وهنا يثير أعداء « الإسلامية » شبهات متعددة تتعلق بالالتزام في الأدب الإسلامي نعرض لها بإيجاز شديد منها أن الالتزام COMMITMENT اصطلاح مستحدث مرتبط بالآداب الأيديولوجية كالأدب الشيوعي والأدب الوجودي » وهذا يغني ارتماء الأدب الإسلامي منهجيا في أحضان هذه الآداب .

وهذا غير صحيح لأن الكلمة عربية في مبناها قديمة قدم الأدب الإسلامي في معناها، حتى على مستوى أوسع « نرى الالتزام الأدبي والفني عموما -ليس أمرا جديدا في عالمنا الحديث لكي يكون حكرا على هذا المذهب أو ذاك ، إنه موغل في القرون البعيدة، ويكفي أن نذكر شاعرين مسلمين هما حسان بن ثابت وقطري بن الفجاءة »(٣)

---

(١) د. محمد مصطفى هداره : الالتزام في الأدب الإسلامي ٢٠ (بحث مقدم لندوة الأدب الرسلامي المنعقدة في الرياض في ١٤٠٥/٧/١٦

(٢) محمد المجذوب : أدب ونقد ٥٠

(٣) د.من حوار للدكتور عماد الدين خليل مع رشدي عبيد : مجلة الأدب الاسلامي م ٤ العدد ١٣ - من ص ١٤ إلى ص ١٩

وظل الالتزام طابعا ومنهجا للأدب من أيام رسول الله صلى الله عليه وسلام حتى الآن، وكان الخروج عليه موجبا للتوقف والاستغراب .

* * *

وقد يذهب بعضهم إلى أن الأديب المسلم بهذا الالتزام يتنازل عن قطع كثيرة من حريته ويحصر نفسه في نطاق ضيق من الموضوعات والأديب بدون حرية - كما يقول الدكتور غنيمي هلال - يفقد أصالته فيسخر أدبه للدعاية أو يلبي فيه نداء خارجا عن نطاق ضميره ووعيه الإنساني فيصير هو أداة يحاول بها استعباد قرائه وتسخيرهم وهذا هو مايتردى به الأدب في دائرة « الاستلاب » حيث يصير الأدب غريبا عن نفسه، مملوكا لغيره، فيفقد بذلك جوهره » (١)

والحرية بالمفهوم الإنساني لايقف أمامها الإسلام، وليس هناك في عالم الواقع حرية مطلقه بلا ضوابط ، وإلا تحولت من حرية بانية إلى فوضوية مدمرة كما أن التزام الأدب بالمفاهيم الإسلامية « لايضيق رقعته، ولايضيق حدوده، بل على العكس من ذلك يوسع الرقعة ويوسع الحدود حتى تشمل الكون كله، والحياة كلها، والإنسان في أشمل نطاق يمكن أن يخطر في حس الإنسان » (٢)

ومن ثم نستطيع أن نقول إن كل ماخلق الله من مشهود ومغيب في الأرض والسماء وعالم الإنسان والحيوان والروح والطبيعة .. الخ كلها موضوعات معروضة للأديب المسلم بلاحرج ولاتحديد ... مادام يعالج موضوعاته من خلال « تصور إسلامي » شريف والأمثلة في هذا المجال أكثر من أن تحصى .

* * *

ونستطيع - في سهولة - أن ندرك طبيعة هذا الالتزام الاسلامي وأبعاد شخصية الشاعر المسلم الملتزم في ختام سورة الشعراء « فقد نزل قوله تعالى : « والشعراء يتبعهم الغاوون * ألم تر أنهم في كل واد يهيمون * وأنهم يقولون مالا يفعلون » (٣) فنحن أمام صورة مزرية لشعراء مرفوضين من وجهة النظر الإسلامية لأنهم :

---

(١) د. محمد غنيمي هلال : قضايا معاصرة في الأدب والنقد ١٤٧
(٢) محمد قطب : منهج الفن الإسلامي ١٣٨
(٣) الشعراء : الآيات ٢٢٤، ٢٢٥، ٢٢٦

بشعرهم الضال يستهوون الغواة (ذوي الغي) ، ومن معاني الغي الجهل وفساد العقيدة والخيبة والفساد والضلال [١] فكلمتهم نافذة مدمرة سيئة التأثير.

- وهم يهيمون أي أصحاب هيام، والهيام في اللغة داء يأخذ الإبل من العطش ويضرب به المثل فيمن اشتد به العشق . يقول الراغب (في كل واد يهيمون) أي في كل نوع من الكلام يغلون في المدح والذم وسائر الأنواع المختلفات، ومنه الهائم على وجهه : المخالف للقصد الذاهب على وجهه . [٢]

- وهم منافقون أدعياء يقولون مالا يفعلون ويظهرون خلاف مايبطنون .

إنها صورة تمثل الشاعر الممسوخ عقيدة وفكرا ورؤية وتأثيرا .

ويروي أن هذه الآيات الثلاث نزلت لأن رجلين تهاجيا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم : أحدهما من الأنصار والآخر من قوم آخرين، وكان مع كل واحد منهما غواة من قومه وهم السفاء .

وحزن الشعراء «الملتزمون » من أمثال حسان بن ثابت وعبد الله بن رواحة، وكعب بن مالك فقالوا يارسول الله ، لقد نزل مانزل وإن الله يعلم أنا شعراء ، إذن هلكنا، فنزل قوله تعالى « إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات، وذكروا الله كثيرا، وانتصروا من بعد ماظلموا، وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون » [٣]

وفي الآية صورة للشاعر المسلم كمايجب أن يكون، فحتى يكون جديرا بهذا النسب عليه أن يتصف بما يأتي :

١ - الإيمان القوي المتين .

٢ - العمل الصالح والسلوك السوي .

٣ - الإكثار من ذكر الله .

٤ - الانتصار من الظالمين ..

وهي صفات طيبة شاملة متكاملة تمتلئ بهانفس الشاعر المسلم في جوانبها الأربعة العقدية والسلوكية والروحية والنفسية : إيمان قوي صادق ، وعمل صالح، وقلب صاف عامر بذكر الله دائما، وعزة واستعلاء بالحق، وإباء

(١) انظر المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني ٣٦٩
(٢) السابق ٥٤٧
(٣) الشعراء ٢٢٧ انظر السيوطي : لباب النقول في أسباب النزول ١٦٤

للضيم وتحديه والانتصار عليه .

وقد استطاع رسول الله صلى الله عليه وسلم بمبادئ الإسلام السمحة أن يحول الطاقة الشعرية عند الفئة الأولى من الشعراء إلى الطريق السوي طريق النور والخير والتقوى والتسامح وهو يشبه مايسميه علماء النفس في عصرنا الحاضر بإعلاء الغريزة والسمو بها (SUBLIMATION) ، ويصدق ذلك بوضوح على واحد من هؤلاء هو عبد الله بن الزبعري الذي يعد من أشعر شعراء قريش، وكان من أشد الناس على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى أصحابه بلسانه ونفسه ، ولما فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة هرب ابن الزبعري إلى نجران خوفا من النبي صلى الله عليه وسلم [1] .

ويظهر أنه كان مطبوعا على الهجاء، عدواني السلوك حتى على قومه المشركين ، يدل على ذلك واقعة خلاصتها أن الناس أصبحوا يوما بمكة وعلى دار الندوة مكتوب :

ألهي قصيا عن المجد الأساطير ورشوة مثل ماترشى السفاسير

وأكلها اللحم بحتا لاخليط له وقولها: رحلت عير مضت عير

فأنكر الناس ذلك الهجاء (المجهول القائل) وقالوا : والله ماقالها إلا ابن الزبعري، وأجمعوا على ذلك رأيهم وكادوا يقطعون لسانه . [2]

فهذا الهجاء المكتوب بليل، والذي لامبرر له ، حيث لاثأر ولا منافرة ولاخلاف في الدين والمعاش، وإجماع قريش على أن مثل هذا البذاء الفاحش لايأتيه إلا ابن الزبعري، كل أولئك ينم على « نفسية عدوانية » بالطبع، ويفسر لنا سلاطة لسانه وفحشه على المسلمين والإسلام ومحمد صلى الله عليه وسلم .

فلما أسلم ابن الزبعري « سما » الإسلام بطاقته الشعرية القادرة، فصار لسان صدق وحق في الدفاع عن الإسلام، وحث المسلمين على الجهاد، ورثاء من استشهد منهم ، ومن أجمل مانظم ماقاله مخاطبا رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد اسلامه :

يارسول المليك إن لساني راتق مافتقت إذ أنا بور

إذ أجاري الشيطان في سنن الغي ومن مال ميله مثبور

---

(١) ابن الأثير : أسد الغابة ٣ / ٢٣٩

(٢) ابن سلام : طبقات فحول الشعراء ٢٣٦/١

أمن اللحم والعظام بما قلـــــت	فنفسي الشهيد أنت القدير
إن مـاجـئـتنا بـه حق صـــدق	سـاطع نوره مـضيء منيـر
جئتنا باليقين والـــبر والصد	ق، وفي الصدق واليقين سرور
أذهب الله ضلة الجـــــهل عنا	وأتانا الرخـاء والميـسـور [1]

* * *

والصفات التي ذكرتها الآية الأخيرة من سورة الشعراء تمثل - كما ألمحت - سمات الشاعر المسلم «الملتزم» في صورته السوية المثلى، والأديب - كما يقول الدكتور عدنان النحوي -إذا لم يكن رجل إيمان وعقيدة وعمل صالح وذكر لله ونضرة للحق، ورفع للظلم عنه وعن غيره ... فإن المعاني تختلط لديه وتضطرب، والتصورات تتعارض وتتناقض، حيث لاعلم في منهاج الله يضبط، ولاتربية دين تكبح [2] .

وكل ذلك حق لامرية فيه، فالشاعر المسلم لايكون ملتزما » إلا إذا توافرت فيه هذه الصفات . ولكن المشكلة الحقيقية تتمثل في « التحقق » من توافر هذه الصفات وصعوبة - إن لم يكن استحالة - الوصول به إلى نتائج حاسمة . وهي قصية أعود إلى استيفاء القول فيها في الفصل الأخير من هذا البحث .

ولكني أقرر هنا حقيقة يجب أن نواجهها بشجاعة ، وهي أننا مضطرون في تقييم الإبداع والمبدع بالأخذ بمعيار « مسلمية الهوية » وإلا هل سأتوقف عن الحكم على إبداع الأديب (المسلم) الذي توافرت له كل ملامح الأدب الإسلامي - حتى أتحقق من صحة إيمانه وعمله الصالح وسلوكه السوي ... الخ ؟

* * *

وأرى في هذه المرحلة من مراحل بزوغ الأدب الرسلامي ورابطته أن تتسم مواقفنا النقدية - نحن الإسلاميين - بشيء من السماحة والمرونة، بحيث لاينال من الثوابت والطروحات الجوهرية المتفق عليها ، ومن ثم لانمانع في أن يصدق مصطلح الأدب الإسلامي على كل قصيدة نظمها أبو نواس في الزهديات ومانظمه شوقي في المناسبات الإسلامية - وهو المعروف بمعاقرته للخمر . لأن

---

(١) أسد الغابة السابق ٣/٢٣٩
وانظر جابر قميحة : المدخل إلى القيم الإسلامية : ٣٠ - ٣٣
(٢) الأدب الإسلامي إنسانيته وعالميته ١٢٠.

الشاعر مسلم الهوية ولأن مضمونها يتفق بل يعبر عن التصور الإسلامي .

ولكن الشاعر لم يكن إسلامي السلوك !!

هذا صحيح ، ولكني أحكم على قصائد معينة محددة لا على أعماله الكاملة، ولا على شخصيته بالمفهوم الشمولي، فلم أزعم أنه «شاعر إسلامي » كحسان بن ثابت، وعمر بهاء الدين الأميري .

ثم لأن الشاعر نظمها - على الأرجح ، لافي وقت يقظة فطرية فحسب، ولكن في لحظات إشراق نفسي إيماني انتصرت فيه النفس اللوامة على النفس الأمارة بالسوء ، ولو إلى حين .

هذا مايبدو من ظاهر النص، ومايعكسه هذا الظاهر على الأقل . وهذا الحكم لايحجر طبعا على حق الناقد المسلم في استبطان النص وتعمق جوانياته ، وبيان مافيه من صدق فني وحرارة في الشعور، وأمانة في التجربة، ومكان هذا النص بين إبداعات الشاعر ... الخ مما يدخل في نطاق الدراسة المتخصصة . أما في مثل حالتنا هذه فنحن في مقام توصيف نص محدد أبدعه «مسلم»، وانطلق من تصور إسلامي، واحتضن مضامين إسلامية، والشاعر بعد ذلك حسابه على الله .

أما صفة الأديب الإسلامي : فلا يطلق هذا الوصف على أي أديب مسلم نظم قصيدة أو قصيدتين ، أو كتب قصة أو قصتين انطلاقا من التصور الإسلامي، ولكن يقتصر الوصف على من غلبت «الإسلامية» على إبداعه مثل عمر بهاء الدين الأميري ونجيب الكيلاني .

وتفاديا لإثارة الحساسيات التي نحن في غنى عنها ، لاداعي لأن نطلق صفة «أديب غير إسلامي» على مبدع يسير في الخط المناقض مادام مسلما ولو «هوية» فقط ، بل نصرف الوصف إلى شعره، فنصف شعره أو بعضه بأنه «خارج» أو ساقط أو مجاف للإسلام .. الخ

ولعل هذه الوجهة تعفينا من بعض الإشكاليات التي يثيرها المعارضون للأدب الإسلامي مصطلحا ومضمونا ومنهجا .

الفصل الرابع

إســـلامي ولا مســـــلم ؟ ؟ ! !

إسلامي ولا مسلم ؟ !!

ما موقف دعاة الأدب الإسلامي من الإبداع الذي استكمل كل عناصر الأدب الإسلامي ولكنه صادر من غير مسلم ؟

إنه سؤال يُطرح مصحوبا بحسن نية حينا ، ومصحوبا بسوء النية أحيانا، وقد يُتْبع السائل سؤاله باتهام صريح كقول أحدهم (١) في سياق حديثه عن النقاد والمنظرين الإسلاميين " وصفوا شعر النصارى الغربيين بأنه إسلامي ، وأن نقل ما لدى الغرب من شعر إسلامي أو إيماني هو أمر مهم ومطلوب كما يقول أحدهم : (٢) لقد فتح الأستاذ محمد قطب الباب على مصراعيه أمام النقاد والفنانين الإسلاميين ، وبدأ الطريق فاختار نماذج من الأدب الإسلامي للشاعر الهندي طاغور وللكاتب المسرحي الأيرلندي ج.م.سنج. وعلى الأدباء والفنانين الإسلاميين أن يواصلوا المسيرة " .

لم يحقق الدكتور مرزوق صحة نسبة هذا الرأي لمحمد قطب مما يدل على أنه يصحح هذه النسبة ، ولا يعترض عليها . ولو رجع إلى كتاب الأستاذ قطب لاكتشف أنه لم يقل ذلك ، بل قال بالحرف الواحد : "والفن الإسلامي - من ثم - ينبغي أن يصدر عن فنان مسلم ، أي إنسان تكيفت نفسه ذلك التكيف الخاص الذي يعطيها حساسية شعورية تجاه الكون والحياة والواقع بمعناه الكبير ، وزُوِّد بالقدرة على جمال التعبير " . (٣)

أما ما يلتقي من الآداب - في بعض مضامينه مع التصور الإسلامي ، وصدر من غير مسلم كطاغور وغيره فيقول عنه أنه : " بكل ما فيه من جمال وروعة يقوم ابتداء على قاعدة أدنى وأصغر من القاعدة التي ينبغي أن ينشأ

---

(١) هو الدكتور مرزوق بن صنيتان بن تنباك في بحث له بمجلة الدارة عنوانه مصطلح الأدب الإسلامي «العدد الثالث السنة الثامنة عشرة »، انظر ص ١٠٦

(٢) يقصد الدكتور عماد الدين خليل : مدخل إلي نظرية الأدب الإسلامي ٢١٧

(٣) محمد قطب : منهج الفن الإسلامي ١٨٢

عليها الفن الإسلامي الكوني الإنساني الشامل المتكامل ، الذي يشمل كل الوجود وكل الإنسان " .[١]

ويقول عن طاغور " ... وهو - في هذا الشأن - لا يلتقي مع المنهج الإسلامي، ولكنه مع ذلك لا يخرج تماما من دائرته . فهناك نقط التقاء كثيرة بين طاغور وبين المنهج الإسلامي .. نقط التقاء جزئية كلها ، ولكنها تكفي لإيجاد روابط المودة بينه وبين هذا المنهج ، بحيث يذكر معه في حدود هذا الالتقاء.." [٢]

ولهذا فإنه من الخطأ أن ينسب للأستاذ محمد قطب أنه أدخل في الأدب الإسلامي أدبا لغير المسلمين ، إنه قال : هناك نقاط التقاء ، ولكن الأدب الإسلامي لا يصدر إلا من مسلم واضح التصور .[٣]

والدليل على هذا أنه صدّر فصل (في الطريق إلى أدب إسلامي) [٤] بالحديث عن شاعرين إسلاميين مشهورين هما : محمد إقبال [٥] ، وعمر بهاء الدين الأميري .[٦] وعرض لإقبال نموذجين شعريين ، وللأميري نموذجين آخرين . وكلها نماذج للشعر الإسلامي الخالص ، الذي استوفى كل سمات هذا الشعر ، وحلل هذه النماذج ، وعقد موازنة طيبة بين الأميري ومحمد إقبال .

وقدم قطب كذلك نصا شعريا أيضا لسكينة بنت الحسين [٧] ونصا آخر لابن الرومي .[٨] ونموذجا للقصة الإسلامية لحميدة قطب [٩] . وكلها نماذج للأدب الإسلامي.

وما قدمه لطاغور وسينج يتميز بروح إنسانية متدفقة ، ولكن الأستاذ قطب ذكر صراحة أن هذا الأدب وما دار في فلكه لا يلتقي مع الأدب الإسلامي إلا التقاءات جزئية ، فهو لا يدخل فيه ، وإن اقترب كثيرا منه .

ومن عجب أن الدكتور مرزوق لا يقف عند هذه النماذج الإسلامية لإقبال والأميري وحميدة قطب وغيرها ، بل يذكر ، ويكرر ، ويلح في التكرار على أن

---

(١) محمد قطب : السابق ١٨٣
(٢) السابق ٢٠٠
(٣) محمد حسن بريغش : الأدب الإسلامي : أصوله وسماته ١١٠.
(٤) محمد قطب : السابق ١٨١
(٥) السابق ١٨٤ - ١٩٢
(٦) السابق ١٩٢ - ٢٠٠
(٧) السابق ٢٣٠.
(٨) محمد قطب : السابق
(٩) السابق ٢٠٦ - ٢١١

محمد قطب قدم إبداع طاغور وسينج كنماذج للأدب الإسلامي . [(١)]

وأرى بعد ذلك أن الدكتور مرزوق كان يمكن أن يتفادى هذه السقطة المنهجية لو قرأ كتاب الدكتور عماد الدين خليل قراءة فاحصة : فعماد خليل ينقل عن محمد قطب قوله "إن الفن الإسلامي ينبغي أن يصدر عن فنان مسلم" [(٢)]

ولكنه يرى بعد ذلك أن إيراد محمد قطب لنماذج أدبية لأمثال طاغور البوذي ، وسينج الأيرلندي الكاثوليكي ... إنما هي توسعة عملية لمفهوم الأدب الإسلامي " . [(٣)]

وهو يرى أن " محاولة كهذه سوف تزيد من رصيد الأدب الإسلامي ، وتغنيه بالمعطيات الخصبة ، وتضع قبالة الأدباء الإسلاميين نماذج متقدمة ، على مستوى التقنية بوجه خاص ، يمكن أن يحذوا حذوها ، وأن تعينهم على رفع وتأثير معطياتهم الإبداعية ، وجعلها أكثر نضجا واكتمالا " . [(٤)]

واضح إذن أنه رأى خاص للدكتور عماد الدين خليل ، أما الاتجاه الغالب للإسلاميين فيخالفه فيه . وعماد الدين خليل نفسه يرى أنها مسألة خلافية لم تحسم بصورة نهائية .

والخلاصة أن محمد قطب وغيره من النقاد الإسلاميين [(٥)]لم يزعموا أن طاغور وسينج ومن نسج نسجهما مبدعون إسلاميون ، أو أن إبداعهم إبداع إسلامي ، كما أنهم لم يخرجوا أحدا من المسلمين من ملة الإسلام حتى لو جاء أدبه سيئا بذيئا .

واعتمادا على هذه الحقيقة نرفض بحق كثيرا جدا من العبارات الانفعالية الحادة التي تواجهنا في تضاعيف بحث الدكتور مرزوق . ومنها على سبيل التمثيل :

- " .. لكن الذي يستحيل قبوله والتصديق به هو أن يتحول الإيمان عندهم

---

(١) انظر الدارة : السابق ١١٤
(٢) عماد الدين خليل : مرجع سبق ٢١٣.
(٣) انظر السابق ٢١٤
(٤) السابق : نفس الصفحة
(٥) باستثناء الدكتور عماد الدين خليل : وهو لم يقل إن هؤلاء إسلاميون في كل أدبهم، بل الذي يأخذ هذه الصفة هو ما اتفق مع التصور الإسلامي في مفهومة الإنساني العام .

(طاغور وسنج وكاسونا) إلى إسلام ، ويصبح أدبهم إسلاميا ... " [(١)]

- " ... لماذ يخرج الأدباء الذين ينتمون إلى الإسلام ، في الوقت الذي يدخل فيه أدب أقوام لا يؤمنون به ، بل يحاربونه ، ويعتنقون أديانا تحاربه ، وتضاده "[(٢)]

- " ... معيار الإسلام لا يسمح بهذا الادعاء الواسع الذي يجعل عباد البقر وأهل التثليث إسلاميين ، في الوقت الذي يخرج عن دائرة الإسلام أبناؤه وأهله". [(٣)]

أعود فأقول إننا نرفض مثل هذه العبارات الانفعالية الهائمة المنفوشة ، لأن مضمونها لم يقل به أحد من النقاد الإسلاميين ، إنما هي رؤية - بل رؤيا - خلعها عليهم الدكتور مرزوق دون وجه حق .

ونكرر أن هذا الأدب الإنساني الطيب من أمثال طاغور وسينج لا يسمى "أدبا إسلاميا" ، لأن إسلام المبدع شرط أساسي للحكم بإسلامية الأدب . وهذا اللون من الأدب سماه الإسلاميون " الأدب الموافق . ويسميه الأستاذ أبو الحسن الندوي " الأدب الجيد " أو " الأدب الصالح " . [(٤)]

ومن الغريب العجيب الذي يصعب تفسيره : أن الدكتور مرزوق بعد هذا القتال الفردي الضاري يصل إلى نفس النتيجة فيقول إن هذه النماذج (التي كتبها طاغور وسينج وغيرهما) ليست نماذج إسلامية ، ولا إيمانية ، وإنما تعد "من أدب الأخلاق الطيبة التي فطر الإنسان عليها ، وجاءت الرسالات السماوية تتم مكارمها " . [(٥)]

ومرة أخرى أقول سبحان الله !! وهل قال الإسلاميون غير هذا ؟ فلماذا الهياج وإثارة النقع بلا مبرر ؟ [(٦)]

* * *

وحرصا على الحق ، وحرصا على أخذ النفس بأمانة المنهج العلمي أذكر -

---

(١) الدارة : السابق ١٠٦
(٢) الدارة : السابق ١٠٧
(٣) الدارة : السابق : نفس الصفحة
(٤) جابر قميحة : « نعم لمصطلح الأدب الإسلامي » ١٢٩ ، بحث منشور في مجلة « الدارة » العدد الأول - السنة العشرون - شوال ١٤١٤ .
(٥) مرزوق : الدارة ١٠٧ - مرجع سبق
(٦) قميحة : الدارة ١٢٩ - مرجع سبق . وللتفضيل راجع البحث ١١١-١٦٠ .

في هذا المقام أن أحد الإخوة الصحفيين وجه إليّ السؤال التالي:

- ما الأدب الذي يمكن أن يطلق عليه أدب إسلامي ؟ (١)

وجاء جوابي كما نشرته الصحيفة :

ألخص لك الإجابة على هذا السؤال فيما يلي :

أولا : ليس من اللازم أن تكون كلمة الإسلام مذكورة في عنوان الإبداع أو في مضمونه . فقد يكون الأدب إسلاميا ، وليس فيه هذه الكلمة .

ثانيا : يقودنا هذا إلى أن هذا الاصطلاح يصدق في إيجاز شديد على كل إبداع شعري أو نثري ذي أبعاد إنسانية أخلاقية اجتماعية أو نفسية تربوية .

ثالثا : إذا أمنا بالمفهوم السابق للأدب الإسلامي ، فهذا يلزمنا أن نغفل هوية المبدع اسما وجنسية ودينا .

رابعا: قد يجد دعاة الأدب الإسلامي فيما ذكرته آنفا نوعا من الحرج في هذه التوسعة بالذات ، وخصوصا إذا كان المبدع غير مسلم أو غربيا . ولكني أحاول أن أزيل هذا الحرج بأفعال الرسول -صلى الله عليه وسلم- إذ جعل العقلية الإسلامية والسلوك الإسلامي يتسعان لحلف الفضول ، وهو حلف جاهلي ، حيث قال -صلى الله عليه وسلم- بعد أن بُعث نبيا ورسولا - " لقد شهدت في دار عبدالله بن جدعان حلفا ما أحب أن يكون لي به حمر النعم ، ولو أُدْعى به في الإسلام لأجبت " . (٢)

وذلك لأن حلف الفضول كان حلفا إنسانيا ، نص على مناصرة المظلوم ، والأخذ بيد الضعيف ، وإعانته على القوي ، فالنبي صلى الله عليه وسلم أجاز هذا الحلف لمضمونه الإنساني .

* * *

من هنا أرى أن يتسع مفهوم الأدب الإسلامي لكل الأعمال الأدبية التي تتفق في مضمونها مع قيم الإسلام ، أو الأعمال ذات المضامين الإنسانية.

ولا يعني هذا دعوة مني إلى أن يقوم القائمون على أمر الأدب الإسلامي بتبني هذه الأعمال أو طبعها ، إذ المفروض هو تبني أعمال الأدباء المسلمين شعرا

---

(١) نشر الحوار في المسلمون العدد ٣٩٤ (١٤١٣/٢/٢٣) - (١٩٩٢/٨/٢١)

(٢) السيرة النبوية لابن هشام ١١٣/١، ١٣٥

أو نثرا في المقام الأول .[١]

* * *

ويتحمس الدكتور سعد أبو الرضا للرأي السابق ، وهو الرأي الذي رجعت عنه ويرى أن العبرة في الحكم والتوصيف "للنص" بصرف النظر عن الناص ، فيقول صراحة :[٢] إن صفة إسلامي - وهي ركن أساسي في تركيب " الأدب الإسلامي " قد دفعت بعضا منا إلى تصور أن ذلك الأدب الإسلامي لا يصدر ولا يقبل إلا من المسلم الملتزم بدين الإسلام . مع أن ذلك قد يكون فيه تضييق لواسع وإغلاق لباب قد يفتح طريق الهداية إلى إيجابيات هذه الفكرة ، وهي أن يتسع الأدب الإسلامي ليشمل كل أدب تتحقق فيه خصائصه دون نظر إلى من قال ، لأن اعتدادنا هنا إنما يكون بما قيل بعيدا عن الرؤية الضيقة ، ولعل استيحاء حديث الرسول صلى الله عليه وسلم " أوغلوا فيه برفق ، ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه " مهيىء لاتساع رؤيتنا في هذه القضية ، والابتعاد بها عن العصبية .[٣]

* * *

وتأخذ على ماذهب إليه الدكتور أبو الرضا مايأتي :

١ - أنه وصف الرأي الآخر - الذي يشترط مسلمية الأديب للحكم بإسلامية الأدب - بالرؤية الضيقة، مع أنه رأى له أسانيده القوية، بل إنه هو الأصل، وما خرج عليه يدخل في نطاق الإستثناء .

٢ - الحديث النبوي الذي ساقه - وهو لم يورده بنصه ونسقه - لايصلح دليلا ، ولا استدلالا، ولاحتى مجرد استئناس يؤيد رأيه من قريب أو بعيد .

٣ - وكأني بالكاتب قد فاته أن المشكلة بالنسبة لهذا النوع من الأدب لاتتمثل في قبولنا أو رفضنا له، ولكنها مشكلة «توصيف» و«تصنيف» يثيرها هذا السؤال : هل يصدق على هذا النوع من الأدب اصطلاح «الأدب الإسلامي» أم

---

(١) وقد أثار رأيي هذا غضب بعض الإخوة منهم الأديب المغربي الأستاذ سعيد الكرواني الذي تفضل ورد علي بمقال نشر في (المسلمون) بتاريخ ١٤١٣/٤/٢٧ .
وللحق تبينت خطأ رؤيتي فرجعت عنها، وأعلنت رجعتي على رؤوس الأشهاد في مؤتمر «رابطة الأدب الإسلامي» الذي عقد في اسطنبول بتركيا أواخر أغسطس ١٩٩٢، وأخذت أعلن رأيي هذا في كل ماأكتب من بحوث ومقالات ولقاءات [انظر مثلا حوارا لي مع الأستاذ محمود خليل بمجلة المجتمع الكويتية العدد ١١٧٠ - ١٥ جمادى الأولى ١٤١٦ - ١٠ أكتوبر ١٩٩٥] .

(٢) من مقال له بعنوان « الأدب الإسلامي بين المفهوم والتعريف والمصطلح » مجلة الأدب الإسلامي : السنة الثانية . العدد السابع (١٤١٦ - ١٩٩٥)

(٣) السابق ٩٥

لا ؟ وكأني بالكاتب قد شعر بنوع من التحرج دفعه إلى نقض « حسمه » السابق، فأردف قائلا بعد الذي سبق مباشرة :

« بل يمكننا أن نصف الأدب ذا الخصائص الإسلامية الذي يصدر من غير المسلمين « بالأدب الموافق » وهي فكرة طيبة تساير سماحة الإسلام، وتوجهه لكل البشر ، وكونه خاتم الأديان » .

ونعود للدكتور عماد الدين خليل لنقف وقفة نقدية أمام النموذج التطبيقي الذي قدمه « مثالا » للأدب الإسلامي الصادر من غير المسلمين، وهو « مركب بلا صياد » للمسرحي الأسباني المعاصر « اليخاندرو كاسونا » (١) فهي في نظره تعد نموذجا للأدب والفن اللذين ينبثقان عن تصور إيماني للحياة والعالم والأشياء، دون اعتساف ولامباشرة ولاروح تعليمية » (٢)

وبعد أن يعرض خلاصة للمسرحية بأحداثها وشخصياتها وغير قليل من حوارها ينتهي إلى القول بأن « كل القيم التي طرحها (كاسونا) في مسرحيته تنبثق إلى حد كبير عن التصور الإسلامي للحياة والعالم والأشياء : الشيطان، العالم المشهود والغيب، إدانة الحضارة الجاهلية المعاصرة، التواجد مع الطبيعة، الحب، الإيمان ، الغفران والقدر ... حيث يمكن أن يجد الإنسان المعاصر الفن الذي يقدم له صورة أخرى للوجود الكوني والإنساني » . (٣)

ولكن ما القيمة العملية لخلع مصطلح « الأدب الإسلامي » على هذه المسرحية وما دار في فلكها من أدب يحمل قيم الحب والسلام والإيمان ؟ إن هناك شعرا يحمل هذه القيم ويدعو إليها ، وينشد في الكنائس كترنيمات تعبدية، وقد عرضنا بعضه في هذا البحث ضمن نماذج الأدب القبطي أو المسيحي، فهل من حقنا أن تطلق عليه مصطلح الأدب الإسلامي، وبذلك تنهار « تفردية » هذا الأدب ويفقد بالتدريج ملامحه الخاصة ؟

إن كان الهدف هو « توسيع » مدارك الأديب الإسلامي وتوسيع ثقافته فإن عليه أن يقرأ مثل هذه الآداب ويفيد منها بما لايتعارض مع معتقده وتصوراته .

---

(١) د. عماد الدين خليل : في النقد الإسلامي المعاصر ٦٧ -٩٩ ، والمسرحية ترجمها إلى العربية الدكتور محمود مكي .

(٢) عماد الدين خليل السابق ٦٩

(٣) عماد الدين خليل السابق ٩٨

على أننا يجب أن نلاحظ أن « الكلمات العقدية » لها عند هؤلاء مفاهيم ومدلولات تختلف عن مفاهيمها ومدلولاتها في التصور الإسلامي مثل : الله والرب والغفران .. الخ ومن ثم كان على الدكتور عماد أن يتأنى قبل أن يحكم أن مثل الحديث التالي نابع من التصور الإسلامي :

استيلا : اللهم بارك في الغابة فأس الحطاب، وفي البحر شباك الصياد، وبارك لنا مائدتنا حتى لاتخلو من الخبز والسمك، اللهم هبنا السلام والعمل والنوم الهادئ المطمئن ، وإذا كنا أسأنا إلي أحد فاغفر لنا يارب .. وأوزعنا أن نحسن ونعفو .[1]

* * *

ولكن هل اختلفت رؤية الدكتور عماد بعد ذلك لهذا النوع من الأدب ؟

في حوار صحفي [2] وجّه إليه السؤال التالي : في كتابكم (النقد الإسلامي المعاصر) ، وكذلك في كتابكم (المأسورون) استشهدتم في طرحكم حول الأدب الإسلامي بنصوص أدبية لغير المسلمين كنماذج أدبية إسلامية، هل تضعون فرقا بين الأديب المسلم والأدب الإسلامي ؟

وجاء في جواب الدكتور عماد :

.... إنها معضلة لايزال الجدل قائما حولها بين الأدباء الإسلاميين . بمقدور المرء في الوقت الحاضر – على الأقل – أن يجد ممرا للخروج منها وذلك باعتماد مصطلح « الأدب الإيماني » بموازاة – أو مع – « الأدب الإسلامي » : فإذا كان النص الإبداعي يعبر عن رؤية إسلامية متميزة يصوغها أديب مسلم كان « أدبا إسلاميا » أما إذا جاء هذا النص لكي يعبر عن رؤية إيمانية شاملة يصوغها أديب من غير المسلمين، لكنها تلتقي في خطوطها العريضة وتوجهاتها الأساسية مع الرؤية الإسلامية عند حافات الأفق الإيماني الوضيء في عالم تحاصره المادية والتفكك والفساد كان هذا « أدبا إيمانيا » .

* * *

وفي مواجهة الرأي السابق نبرز النقاط الآتية :

---

(١) عن عماد الدين خليل : السابق ٩٥

(٢) مجلة «الحرس الوطني السعودية : عدد المحرم ١٤١١ – أغسطس ١٩٩٠. ص ١٠٢ – ١٠٧ ، أجرى الحوار عبد العزيز الداود .

١ - أن الإيمان أعلى مرتبة من الإسلام بدليل قوله تعالي «قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا، ولما يدخل الإيمان في قلوبكم ...» [(١)]، وهذا هو المعنى المشهور . وبناء عليه يكون «الأدب الإيماني» -أدب غير المسلمين - أعلى مرتبة وأرفع قيمة من الأدب الإسلامي »، وهذا مالم يقل به أحد، ولا حتى الدكتور عماد نفسه .

٢ - وقال النسفي في العقائد : الإيمان والإسلام واحد » قال العلامة التفتازاني في شرحه : لأن الإسلام هو الخضوع والانقياد بمعنى قبول الأحكام والإذعان بها، وذلك حقيقة التصديق، ويؤيده قوله تعالى « فأخرجنا من كان فيها من المؤمنين، فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين » [(٢)]

وعلى هذا التخريج لايكون ثمة خلاف نوعي أو درجي بين الأدب الإيماني والأدب الإسلامي، لأن التفريق لايقوم على أساس .

٣ - وذكر الراغب الأصفهاني أن الإسلام في الشرع على ضربين :

أحدهما دون الإيمان كما يظهر في قوله تعالى « قالت الأعراب آمنا ... » والثاني فوق الإيمان وهو أن يكون مع الاعتراف اعتقاد بالقلب ووفاء بالفعل واستسلام لله في جميع ماقضى وقدر، كما ذكر عن إبراهيم عليه السلام في قوله « إذ قال له ربه أسلم قال أسلمت لرب العالمين »[(٣)]، وقوله تعالى « إن الدين عند الله الإسلام »[(٤)] وقوله تعالى « توفني مسلما » [(٥)]

والوجه الثاني الذي ذكره الراغب غير مشهور، ولايكاد يعرفه إلا خاصة الباحثين ، واعتقد أن الدكتور عماد لم يكن متمثلا هذا المعنى في التفريق بين الأدب الإسلامي والأدب الإيماني .

٤ - لم يبق إلا أن يكون المقصود هو الإيمان بمفهومه العام الدارج بمعنى قوة الاعتقاد وحماسة الثقة وحرارة اليقين أيا كان موضوعه، على حد قولنا «فلان مؤمن بقضيته، وهذا كاتب يعوزه الإيمان بأفكاره»، وفي هذه الحال يكون مصطلح «الأدب الإيماني» في حاجة إلي الإشارة عند استعماله - إلي هذا المعنى

(١) الحجرات ١٤
(٢) الذاريات ٣٦
(٣) البقرة ١٣١
(٤) آل عمران ١٩ وانظر الراغب الأصفهاني في ٢٤٠ : المفردات في غريب القرآن
(٥) يوسف ١٠١ : للتفصيل راجع كتاب الراغب الأصفهاني السابق : ٢٤٠ - ٢٤١ ، وكذلك مجموعة قواعد الفقه التي جمعها السيد محمد عميم الإحسان المجددي المبركتي ٥٠٠ .

الأخير للإيمان . وبذلك نُحمّل «المصطلح» تزيدا خارجيا ينقص بل يسيء إلى «اصطلاحيته» . كما أن هذاالاستعمال سيفتح الباب لعدد لايحصى من الإبداعات حتى مادار حول «قضية خاصة» مادامت تخاطب الحس الإنساني، وفي ذلك إرهاق لجهود الإسلاميين من الأدباء والنقاد، وتمييع لحدود الأدب الإسلامي نفسه.

* * *

وعودا على بدء أقول إن هذا النوع من الأدب الذي استوفى ملامح الأدب الإسلامي، ولكنه صدر من غير مسلم - مقبول مرحب به . وليس من دعاة الأدب الإسلامي من يرفضه، ولكن مشكلته لاتعدو أن تكون مشكلة « نسب » و «تصنيف» فمصطلح الأدب الإسلامي، والتعريفات التي عرضناها لهذا المصطلح لاتتسع لإدراج هذا النوع من الأدب تحت مظلتها .. ومن ثم رأينا أن يطلق عليه الأدب الموافق أو الملائم أو الموائم أو المساير أو المواكب، أو أية تسمية تحمل معنى اقترابه الشديد من الأدب الإسلامي .

وحتى لايكون هذا «الوصف» مفتوحاً غير مانع يمكن تقييده بطريقة «النحت» فيقال «أدب موا إسلامي » أي موافق للأدب الإسلامي . وقد يكون في هذا الاستعمال غرابة وثقل في النطق ، ولكن اطراد الاستعمال - لو أخذنا بهذا المصطلح - كفيل بالتغلب على هذين المأخذين الشكليين .

* * *

وللدكتور صالح آدم بيلو - في هذا النطاق - رؤية طيبة ترتكز على موروث تاريخي كريم [1]، فهو يبدأ متسائلا عن هذا اللون من الأدب : هل نسميه أدبا إسلاميا ؟ هل نسميه المقارب أو المشابه للأدب الإسلامي ؟ ... أم نسميه الإسلامي دلالة ومؤدي دون المصدر والمنبعث ؟

ويرى أن التسمية - مادام هذا الأدب مقبولا إسلاميا - لا تشكل عائقا كبيرا أو صغيرا في سبيل قبولنا وإقبالنا عليه . ويرى - قبل فعل أي شئ في هذا الصدد - الاستهداء بما رواه الإمام مسلم في صحيحه - كتاب الشعر - عن عمرو بن الشريد عن أبيه قال : ردفت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال هل معك من شعر أمية بن أبي الصلت شيء ؟ قلت نعم . قال : هيه، فأنشدته بيتا فقال هيه، فأنشدته بيتا، فقال هيه، حتى أنشدته مائة بيت، وفي رواية قال «

(١) انظر كتابه : من قضايا الأدب الإسلامي ١٢٢-١٢٥

إن كاد ليسلم » وفي رواية « فلقد كاد يسلم في شعره » .

فالواضح البين أنه عليه الصلاة والسلام يصف أدب أمية البناء وشعره الموافق لمفهومات الإسلام بأنه قارب أن يصير إسلاميا، وأن الشاعر قد اقترب من الإسلام كثيرا كثيرا بهذا اللون من الأدب وإن كان في قلبه وحقيقته على خلاف ذلك . واستحق هذا الأدب أن يثير الإعجاب، ويلقى الحظوة والتقدير من سيد الناس عليه أزكى الصلوات والتسليم [١]، فإذا كنا مصرين على إطلاق اسم على هذا اللون، فإنني أحب أن نستفيد ونستعين بهذا الموقف النبوي الكريم [٢] .

* * *

وماذكره الدكتور صالح بيلو سنة ١٩٨٥ على سبيل الإشارة أو الأمنية فتح الباب - بعد ذلك بعدة سنوات - لناقد جليل هو الأستاذ محمد إقبال عروي [٣]، فالتقط الخيط، وحقق هذه الأمنية في منطوق صريح منطلقا من نفس الموروث النبوي الذي انطلق منه الدكتور بيلو : فهو يرى أن الرسول صلى الله عليه وسلم يعاين هنا تجربة نقدية أصيلة ، وحريصة على الانطلاق من المفهوم الإسلامي للدخول في دين الله ، ومن ثم فالنتيجة الموضوعية هي رفض أمية بن أبي الصلت وإبعاده عن ساحة الإسلام .

ومن ناحية أخرى : فقد لمس الرسول صلى عليه وسلم في شعره مفاهيم وأفكارا ونفحات اسلامية يمكن إدراجها في حقل الأدب الإسلامي، ولكن مادام صاحبها لم يعرف الإسلام عقيدة ومسلكا، فليس من المشروع أن نطلق على شعره مصطلح الإسلام أو « الإسلامية » ... ومن ثم فقد كان التعبير النبوي البليغ المشبع بالإيحاءات الدالة « لقد كاد يسلم في شعره » .

---

(١) كان أميه بن أبي الصلت - كما يذكر محمد بن سلام الجمحي - كثير العجائب يذكر في شعره خلق السموات والأرض ويذكر الملائكة ، ويذكر من ذلك مالم يذكره أحد من الشعراء، وكان قد شام أهل الكتاب (أي اقترب منهم) :
(طبقات فحول الشعراء) ١/٢٦٣ .
وقد كان قرأ الكتب المتقدمة من كتب الله عز وجل، ورغب عن عبادة الأوثان ، وكان يخبر أن نبيا يبعث قد أظل زمانه ، ويؤمل أن يكون ذلك النبي ... وكان يحكي في شعره قصص الأنبياء ، ويأتي بالفاظ كثيرة لاتعرفها العرب [الشعر والشعراء لابن قتيبة ١/٤٦٦] .
وكان ممن ذكر ابراهيم واسماعيل والحنيفية ، وحرم الخمر ، وشك في الأوثان ، وكان يقول « كل دين يوم القيامة عند الله - إلا دين الحيفية زور (الأغاني ٤/١٣٣٩) .

(٢) د. بيلو : مرجع سبق ١٢٤ - ١٢٥

(٣) في دراسة بعنوان : « قراءة في نظرية الأدب الإسلامي » لمؤلفه الدكتور عماد الدين خليل ٢٥/١٧ في مجلة الأدب الإسلامي العدد السادس - السنة الثانية .

إننا - كما يرى الأستاذ العروي - بين يدي بنيتين :

بنية الإسلامية، والبنية التي تضم الفعل « كاد » . بالنسبة للأولى فلقد أضحى من البديهي أن نصفها بالإسلامية ، أما بالنسبة للبنية الثانية فكيف سيصاغ مصطلحها انطلاقا من تعبير الرسول صلى الله عليه وسلم ؟

وينتهي الأستاذ الناقد إلى أن الفعل « كاد » هو الذي يقدم المعني الدقيق الذي عناه الحديث الشريف، فإذا ما أضيفت إليه « ياء النسب » وتاء التأنيث، وأصبح مبناه « الكادية » أشير به إلى كل إنتاج لم يلتزم صاحبة بالإسلام، غير أننا نلمح فيه نفحات إيمانية، تكون إقرارا طبيعيا للفطرة البشرية السليمة حين تنتابها لحظات الصفاء والشفافية سواء أقلت نسبتها أو كثرت .[١]

وقد يتعرض هذا المصطلح الجديد للمآخذ الآتية :

١ - أنه منسوب إلى الفعل، والأصل - كما يقر الأستاذ العروي صاحب المصطلح - أن تكون صياغة المصطلح بعد إرجاعه إلى المصدر كما في الإسلامية والواقعية والبنيوية وغيرها . ولكن مصدر الفعل كاد هو (كود)، وما من شك في أنه مصدر غريب غير متداول، فلا داعي إذن إلى صياغة المصطلح منه، ونكتفي بفعله نظراً لتداوله ومعرفة الناس به .[٢]

ويمكن أن يضاف إلى دفاع الكاتب أن العرب ينسبون إلى العلم المصوغ على هيئة الفعل مثل : يشكر، ويزيد ، وجاد فيقولون : يشكري، ويزيدي وجادي .

٢ - غرابته على السمع مما يقلل ويعطل من شهرته ، ويدفع هذا المأخذ بأن الغرابة على السمع تزول بالشهرة والانتشار وكثرة الاستعمال والترداد .

٣ - اقترابه في بنيته من «الكيد» و «الكُدْية» [٣]، وقد يجد من أعداء الأدب الإسلامي غير قليل من السخرية، فيلوون ألسنتهم بقولهم : أدب الكدية والأدب الكيدي .

والسخرية ليست عيبا في المصطلح ذاته، ولكنها مأخذ يسجل على هؤلاء الساخرين الذين مازالوا يسخرون ويعارضون حتى الآن مصطلح الأدب الإسلامي» ذاته . والسخرية بالأنبياء والدعاة والقيم وأصحابها باقية مابقى

(١) انظر : السابق ٢٢ -٢٤

(٢) العروي : مرجع سبق ٢٤

(٣) الكدية في الأصل هي الأرض الغليظة أو الصلبة التي لاتعمل فيها الفأس ، والكدية حرفة السائل الملح . (المعجم الوجيز ٥٢٩)

صراع بين الحق والباطل، وهو قائم إلى يوم القيامة . ويبقى الساخرون في ذاكرة التاريخ :

كنا طح صخرة يوما ليوهنها .. فلم يضرها، وأوهي قرنه الوعل

* * *

وهناك نقاط متعددة تحسب لهذا المصطلح الجديد : مصطلح الكادية تتلخص فيما يأتي :

١ - السهولة النسبية في نطقه، وخفته على اللسان، ومن ثم سهولة حفظه ونشره، فهو أسهل من المعروضات الاصطلاحية السابقة مثل : الأدب المساير، أو المقارب، أو الموافق أو الموائم ..الخ

٢ - أحادية المعنى والدلالة، فالفعل «كاد» لايستعمل - على وجه التحديد - إلا للمقاربة . ولايحتمل التأويل والخروج إلى معنى آخر شأن المشترك اللفظي .(١)

٣ - ارتكاز المصطلح -عمليا- على واقع تاريخي تراثي كريم لاينكره أحد . فشهادة النبي صلى الله عليه وسلم لأمية بن أبي الصلت جاءت في الروايتين بالنص الآتي :

- إن كاد ليسلم (٢)
- قد كاد يسلم في شعره .

وكلتا الروايتين تؤكدان «المقاربة من إسلام الشاعر بإبداعه الشعري : فهو أدب كان يمكن أن يكون إسلاميا لو أن صاحبه كان مسلما . يؤيد ذلك أغلب مانظمه شعرا، فقد عالج فيه معاني دينية فطرية، وحكما وقيما علوية جاء الإسلام وبشر بها (٣) .

وهناك رواية ثالثة وهي قول النبي صلى الله عليه وسلم :آمن لسانه وكفر قلبه(٤)

---

(١) محمد سعيد اسبر، وبلال جنيدي : الشامل ٦٩٣ .
وأذكر في هذا المقام أن أهل شمال الدلتا في مصر يستخدمون «كاد» اسما فيقولون « فلان أدرك القطار بالكاد» أي أدركه في آخر لحظة » وفلان نجح بالكاد » كأنه كان معرضا للرسوب أو قريبا منه و « لم يعطه حقه إلا بالكاد » أي بعد لأي ومشقه، وهي استخدامات لم تحلق بعيدا عن جو المقاربة .

(٢) (إن) بالسكون مخفف (إنّ) ، ويجمع النقاد على إهمال عملها إذا جاءت بعد فعل، والأرجح أن يكون هذا الفعل ناقصا أو ناصبا لمفعول [الشامل : السابق ١٩٠]

(٣) انظر علي سبيل التمثل مطولته الدالية التي مطلعها :
لك الحمد والنعماء والملك ربنا .. فلا شيء أعلى منك مجدا وأمجد
[ديوان أمية بن أبي الصلت ٣٤ - ٣٧]

(٤) ابن قتيبة : الشعر والشعراء ٤٦٦/١ .

والعبارة الأولى (آمن لسانة) شهادة (للنص) بأنه ناطق -في ذاته- عن قيم إيمانية جليلة . والعبارة الثانية (وكفر قلبه) توصيف لشخصية (الناص) من الجانب العقدي : فهو كافر غير مسلم، ولكن كفره لم يكن دافعا لرفض شعره، كما أن سمو شعره لم يصلح أن يكون مسوغا لوصفه بأنه «شعر إسلامي» كشعر حسان بن ثابت، وكعب بن زهير وعبد الله بن رواحة وعبد الله بن الزبَعْرَي (بعد اسلامه) ، وبذلك علمنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن العبرة ليست بما قيل فحسب ، ولكن بما قيل ومن قال [١] .

* * *

وعن المجال العملي التطبيقي لمصطلح «الأدب الكادي» يرى الأستاذ العروي أنه يصدق على إبداعات غير المسلمين التي تحمل قيما إيمانية وأخلاقية، وتدعو إلى المثل العليا كتلك النماذج التي عرضها الأستاذ محمد قطب لطاغور وسينج، وماعرضه عماد الدين خليل لكاسونا وكل مادار في فلك هذه الإبداعات، وذلك مانوافق عليه الأستاذ العروي، وندعو إليه مرجحين هذا المصطلح الجديد «**الأدب الكادي**» على غيره من المصطلحات المعروضة سابقاً كالأدب المقارب «أو «الأدب الموافق» .. الخ . وذلك للأسباب التي سردناها آنفا .

* * *

ولكن الأستاذ العروي يتحمس لمصطلحه ، ويرى أنه يجب أن يصدق كذلك على مثل هذا النوع من الأدب إذا صدر من مسلمين - بالهوية - اشتهروا بسوء سلوكهم، فنراه يقول [٢] وحتى تأخذ الأمور صورتها العلمية الواضحة فإني أحرص على تقديم نموذج أدلل به على إمكانية استثمار ذلك المصطلح بجميع خلفياته السابقة ، والنموذج هو «**نزار قباني**» ، وهو يختار الشاعر الحي ليؤكد أمرين مهمين في نظره ، وهما :

أ - أن مصطلح «الكادية» لايلغي إمكانية الانحراف السلوكي لصاحب

---

(١) ويؤيد ذلك ماجاء في حديث طويل منه قول الشيطان لأبي هريرة رضي الله عنه : دعني أعلمك كلمات ينفعك الله بها : إذا أويت إلى فراشك فاقرأ آية الكرسي « الله لا إله إلا هو الحي القيوم » حتى تختم الآية ، فإنك لايزال عليك من الله حافظ ، ولايقربك شيطان حتى تصبح ...
فلما نقل : أبو هريرة للنبي صلى الله عليه وسلم ماحدث قال : « أما إنه صدقك وهو كذوب » .
[انظر الحديث بتمامه رقم ٢٣١١ في صحيح البخاري بشرح فتح الباري لابن حجر]

(٢) العروي : مرجع سبق : ٢٤

الإبداع، بل يعترف بذلك، وما المصطلح إلا إقرار بوجوده وبرهنة عليه .

ب - نتيجة لما سبق يصبح إدراج هذا النوع من الأدب ضمن الإسلامية » خلطا - انطلاقا من التعليل السابق، لأن أدبهم إن كان فيه نفحات إسلامية فإن سلوكهم اليومي يخالف الرؤية الإسلامية .

وفي تجربة نزار قباني نموذج حي يرى العروي أنه يصدق ماذهب إليه إذ أن قصائده الأخيرة مثل « تقرير سري جدا من بلاد قمعستان » و « السمفونية الجنوبية الخامسة » و « لماذا يسقط متعب بن تعبان في امتحان حقوق الإنسان » تجسد من الناحية الفكرية اعترافا بضرورة الإسلام ، وإيمانا قويا بدور الصحابة واعترافا بتفريط الأمة العربية في هويتها، وكل أولئك يدل علي « كادية » واضحة.

غير أن سلوك صاحب تلك القصائد لايشجع على إدراجه ضمن «الإسلامية »، ومن هنا تأتي قيمة مصطلح « الكادية » ليؤطر الانتاجات تأطيرا سليما، ويبعد بنا عن السلبيات التي يقع فيها بعض النقاد وتتمثل - في نظر العروي - في الحرص على إدراج مثل ذلك الإبداع في دائرة « الإسلامية » دونما سند شرعي مقبول أو مسوغ موضوع معقول [(١)] .

* * *

ولكننا نجد أن من المبررات العملية الواقعية مايدفعنا إلى مخالفة الكاتب في رؤيته التي مدت نفوذ الكادية إلى شعراء مسلمين :

(١) فمن عجب أن يصرح أن استعمال مصطلح « الكادية » في الحكم على إبداع الأديب (المسلم المنحرف) يمثل - على حد قوله - إقرارا بوجود الانحراف وبرهنة عليه ». وهو منطق غريب لأن الحكم بكادية أدب الأديب يتحول في هذه الحال من تقييم نقدي إلى قرار بالإدانة والتجريم ، والمفروض المنطقي هو العكس أي يكون سرد السيئات دليلا وبرهانا على استحقاق الأدب وصف « الكادية » .

(٢) ما المعيار الذي نحتكم إليه في الحكم بانحراف الأديب ؟ هل هو معيار الدين الذي يصنف الأفعال في كبائر وصغائر، أو جرائم حدود وجرائم تعازير ؟

أم هو معيار القانون الذي يقسم الأفعال الخارجة إلى جنايات وجنح ومخالفات ؟

---

(١) العروي : السابق نفس الصفحة .

ثم علينا ألا ننسى نسبية « التجريم» على مستوى البلاد العربية والإسلامية : فالتدخين - مثلا - أصبح في مصر من قبيل اللمم، بينما هو في بعض مناطق السعودية يعتبر خطيئة تسقط صاحبها من أنظار الناس ، وهذا الازدواج المعياري في التجريم سيؤدي بالتبعية إلى ازدواج الحكم في تقييم العمل الأدبي، ويتضح ذلك من المثل الآتي :

- شاعر مصري إسلامي (من هواة التدخين) ألقى قصيدة من قصائده الإسلامية في القصيم بالسعودية - وهي قصيدة من الشعر الإسلامي في مصر بلا خلاف - ولكنهم - أخذا بالكادية - سيجعلونها في عداد الأدب الكادي بلا خلاف أيضا لأن حكم التدخين هنا يختلف عن حكمه هناك . ونكون بذلك قد أدخلنا « عرف المكان » عاملا حاسما في الحكم، وتدخل القصيدة التاريخ بوصفين مختلفين: الإسلامية والكادية .

(٣) ثم مالحكم في شاعر عرف بحسن السلوك ، أبدع روائع استحقت وصف « الأدب الإسلامي » . ثم ثبت بعد ذلك بأدلة قاطعة أن الشاعر كان منحرفا سيءالسلوك في الأيام أو الأشهر التي نظم فيها هذه القصائد . فهل نلغي قرار « اسلامية » أدبه، ونستبدل به حكما « بكادية » هذا الأدب، ونجعله ساريا بأثر رجعي؟

(٤) ثم هل نقوم برصد عيون تتابع سلوكيات الأدباء للحكم عليها، ثم ننطلق من هذا الحكم إلى الحكم على أدبهم بالإسلامية أو بالكادية، ونحن - المسلمين - منهيون على التجسس وتتبع عورات الآخرين ؟

(٥) ثم ما الحد الزمني للانحراف الذي يخلع على الأدب صفة « الكادية » ويحجب عنه صفة « الإسلامية » ؟ هل هو الانحراف الدائم ؟ أم هو الانحراف قبل إبداع النص ؟ أ هو الانحراف في آنه ؟ أم هو الانحراف بعده ؟ ومن من النقاد الإسلاميين يملك من الوقت والقدرة واليقظة ما يمكنه من متابعة ذلك والتحقق منه ؟

قد يقال : فليكن الاعتماد على شهادة الشهود من الجيران والأصدقاء وزملاء العمل والصحف .. الخ .

هنا ستنشأ مشكلة جديدة وهي ضرورة الوثوق من عدالة « الشاهد » وتنزهه عن المنكرات وخوارم المروءة .

(٦) ثم هل تدخل «الجرائم السياسية » في منظومة الانحراف ؟ إننا نعرف كثيرا من الأدباء والمفكرين سجنوا وبعضهم أعدم بتهمة الخيانة الوطنية «ومحاربة الله ورسوله » ثم ظهر « بعد أن قضي الأمر » أنهم من كل ذلك براء .

(٧) ومن المشكلات المتوقعة كذلك ماقد يجر الحكم بكادية أدب مسلم (منحرف) إلى مساءلة قانونية إذا أعلن الناقد الانحراف تبريرا لهذا الحكم، وذلك إذا لجأ المبدع إلى القضاء حرصا على سمعته ، وفي هذه الحال يكون الناقد مطالبا بتقديم الدليل على هذا الانحراف من وقائع ثابتة محددة، حتى لايقع تحت طائلة المسئولية .

* * *

وبهذه التوسعة لمنطقة نفوذ «الكادية» يتحول المصطلح الذي قدمه صاحبه ليقوم بدور المنقذ الذي يحل مشكلات ويحسم قضايا قائمة بالفعل إلى عامل قوي لتوليد مزيد من المشكلات .

ومن ثم أرى أن ينحصر إطلاق هذا المصطلح الرائع على الأدب ذي المواصفات الإسلامية الذي ينتجه غير المسلمين . أما مثل هذا الأدب الذي ينتجه مسلمون بالهوية - حتى لو كانوا مخدوشين سلوكيا من الأموات أو الأحياء - فهو أدب إسلامي يتسع لقصائد نزار قباني التي أشار إليها الأستاذ العروي وتوبيات أبي نواس الحسن بن هانئ؛ لأن هذه القصائد وما دار في فلكها إنما نظمها الأديب في ساعة من ساعات تفتح الفطرة الإنسانية .

والحكم بإسلامية» هذه القصائد لايتعداها طبعا إلى «الشعر الآخر» لهؤلاء الشعراء، كما لايتعدى إلى شخصية الشاعر» فيوصف بأنه «شاعر إسلامي » وإن كان شاعرا مسلما ، وحسابه في سلوكه على الله .

نماذج من الشعر الكادي

في الصفحات التالية نعرض ثلاثة نماذج للأدب الكادي وهي بالترتيب :

١ - القصيدة الحوارية « نشيد محمد » للشاعر الألماني » « جوته » .

٢ - قصيدة : « رأس السنة الهجرية » لخليل مطران .

٣ - قصيدة : « الطين » لإليا أبي ماضي .

* * *

كان « جوته » (١٧٤٩ - ١٨٣٢) يعتز إلى أقصى حد - باللغة العربية، ونقل عنه قوله « لاتوجد لغة في العالم ينسجم فيها الفكر والكلمة والحرف بأصالة عريقة كما هي الحال في اللغة العربية »، [١] بل كان يرى فيها « شواهد مقدسة وقيما حقيقية في المعاملات العقلية والروحية » [٢]، وقد أبرز في أدبه كثيرا من القيم العقدية والإنسانية والروحية فيالإسلام، مثل عقيدة التوحيد التي أولاها اهتماما خاصاً في عمله الأدبي المشهور « تراجيدية محمد » [٣] .

وفي القصيدة التي نقدم أجزاء منها اتخذ الشاعر الحوار المسرحي شكلا فنيا لها، وفي تصوير رومانسي منبسط أخاذ يتحدث جوته عن « الدعوة الإسلامية » ذلك السيل العارم القوي الذي انحدر من الجبل الشامخ العلي، منطلقا فتيا متوثبا يجرف في طريقه عقبات الشرك والتخلف، ويؤتي أكله النبيل بالتوحيد ونور الهداية « أزهارا ومروجا تحيا من أنفاسه » حتى أصبحت الدعوة وصاحبها مفخرة السهول والوهاد، بعد أن تخطى الصحراء ناشرا نوره وريه وفيضه في العالم كله .

إنها رؤية شعرية فيها الجلال والعظمة ونبالة التصور، ورواء المعالجة مع

---

(١) كاتارينا مومزن : جوته والعالم العربي ٥٠.

(٢) السابق نفس الصفحة

(٣) انظر السابق ٢٠٧

البعد عن المباشرية والتقريرية في إبراز ركائز الإسلام وعظمته وآثاره » الممتدة التي تنطلق إلى الأمام دائما بلا توقف .

* * *

ونرى خليل مطران (١٨٧٢ - ١٩٤٩م) في مطولته التي بلغت ٧٨ بيتا [١] يربط في براعة - بين الماضي والحاضر ، ويؤطر قصيدته - بدءا وختاما - بدعوة أبناء مصر إلى الانتفاع بالذكرى العظيمة - ذكرى هجرة النبي صلى الله عليه وسلم - ومافيها من عبر ودروس وعظات .

ويستعرض الشاعر فيها من خلال حدث الهجرة «جهاد رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحبه في مواجهة الشرك والتخلف والهوى بدعوة التوحيد والعدل والشورى والجد والعلم وإنصاف أهل الكتاب من يهود ونصارى .

ويحرص الشاعر - في أدائه التعبيري - على الكلمة العربية الرصينة بعيدا عن الركة والابتذال . كما نلمس تأثره ببعض المعاني والقوالب القرآنية فقوله :

رسالة الله لو حلت على جبل ∴ لاندك منها وأضحى بطن أخدود .

متأثر بقوله تعالى « لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله » [٢]

* * *

أما قصيدة (الطين) لإليا أبي ماضي (١٨٩١ - ١٩٤٧ م) [٣]، فهي دعوة قوية إلى القيم الإنسانية التي دعا إليها الإسلام مثل التواضع والتعاون والحب وسلام المعايشة ونبل المشاعر، وجاءت هذه الدعوة منطلقة من فكرة أساسية محورية هيمنت على القصيدة كلها، وهي الحملة البارعة على الإنسان المتكبر المغرور » أو « الإنسان الطين » كما وصفه الشاعر، وتأتي هذه الحملة في صورة « محاكمة استجوابية » لهذا الإنسان «المنسلخ » من القيم النبيلة .

والشاعر هنا «يوظف » وقائع الحياة ومشاهد الطبيعة «لتعرية » هذا الإنسان الدعي المتكبر المغرور . جاعلا من آلياته الفنية تشخيص هذه المشاهد، والمزج بينها وبين النفس إلى درجة الحلول الشعري . وكذلك الإكثار من

---

(١) ديوان الخليل ٣٩ - ٤٤

(٢) الحشر ٢١

(٣) عن كتاب «إيليا أبو ماضي شاعر التساؤل والتفاؤل » لإيليا حاوي ٢١٧ - ٢٢٣ .

الأساليب الإنشائية مثل النداء « ياأخي ... أيها المزدهي ... أيها الطين ... » والاستفهام « ألك القصر ... ؟ ألك النهر ... ؟ أجميل ... ؟ أم .. ؟ أم غني ... ؟ أم قوي ... ؟ أعليم .. ؟ ... الخ .

ومعروف أن الأساليب الإنشائية من أقدر الأساليب على الإثارة والتأثير...

وتتوالى « الاستجوابات » في تلاحق ليخلص الشاعر بعد ذلك إلى القرار الحاسم المتمثل في الحكم أو الدعوة الإنسانية الآتية :

لايكن للخصام قلبك مأوى إن قلبي للحب أصبح معبد

أنا أولى بالحب منك وأحرى من كساء يبلى ومال ينفد

من قصيدة : نشيد محمد
للشاعر الألماني جوته
(قصيدة حوارية)

علي : انظروا إلى السيل العارم القوي، قد انحدر من الجبل الشامخ العليّ
أبلج متألقا كأنه الكوكب الدريّ .

فاطمة : لقد أرضعته من وراء السحاب ملائكة الخير في مهده بين الصخور والأدغال .

علي : وإنه لينهمر من السحاب مندفعا في عنفوان الشباب، ولايزال في انحداره على جلاميد الصخر يتنزى فائرا متوثبا نحو السماء، مهللا تهليل الفرح .

فاطمة : جارفا في طريقه الحصى المجزع والغثاء الأحوى .

علي : وكالقائد المقدام الجرئ الجنان، الثابت الخطى يجر في أثره جداول الربى والنجاد .

فاطمة : ويبلـغ الوادي ، فتتفتح الأزهـــــار تحت أقدامه ، وتحـيا المروج من أنفاسه .

علي : لاشيء يستوقفه لا الوادي الوارف الظليل ، ولا الأزهار تلتف حول قدميه، وتطوق رجليه، وترمقه بلحاظها الواقعة، بل هو مندفع عجلان صامد إلى الوهاد .

فاطمة : وهذه أنهار الوهاد وتسعى إليه في سماح ومحبة، ومستسلمه له، مندمجة فيه، وهذا هو يجري في الوها فخورا بعبابه السلسال الفضي .

علي : الوهاد والنجاد كلها فخورة به .

فاطمة : وأنهار الوهاد، وجداول النجاد تهلل جميعاً من الفرح متصايحة .

علي وفاطمة (في وقت واحد) : خذنا معك . خذنا معك .

فاطمة : خذنا معك إلى البحر المحيط الأزلي الذي ينتظرنا باسطا ذراعية، لقد طال مابسطهما ليضم أبناءه المشتاقين إليه .

علي : وماكان هذا الفيض كله ليبقى مقصورا على الصحراء الجرداء ، ماكان هذا الفيض ليفيض في رمال الرمضاء، وتمتصه الشمس الصالية في كبد السماء، ويصده الكثيب من الكثبان، فيلبث عنده غديرا راكدا منالغدران، أيها السيل خذ معك أنهار الوهاد

فاطمة : وجداول النجاد .

علي وفاطمة (في وقت واحد) : خذنا معك . خذنا معك .

رأس السنة الهجرية
لخليل مطران

هل الهلالُ فحيّوا طالع العيدِ   حيوا البشير بتحقيق المواعيد
يأيها الرمزُ تستجلي العقولُ بهِ   لحكمة الله معنى غير محدود
كأن حُسنكَ هذا وهو رائعنا   حسن لبكر من الأقمار مولود
لله في الخلق آياتٌ وأعجبُها   تجديد روعتها في كل تجديد

* * *

فتيان مصر وماأدعو بدعوتكم   سوى مجيبين أحرار مناجيد[1]
سوى الأهلةِ من علم ومن أدبٍ   مؤملين لفضل غير مجحود
المستسرُ شعارُ المقتدين به   العاملين بمغزى منه مقصود[2]
مازال من مبدأِ الدنيا ينبئنا   أن التمام بمسعاة ومجهود
فإن تسيروا إلى الغايات سيرتهُ   إلى الكمال فقد فزتم بمنشود
يا عيدُ جئت على وعدٍ تُعيد لنا   أولى حوادثك الأولى بتأييد
بل كنت «عيدين» في التقريب بينهما   معنى لطيف ينافي كل تبعيد
رددت يوما يسرُ المؤمنون به   ولم تكن بادئا يوماً لتعييد

* * *

رسالة الله لا تُنهى بلا نصبٍ   يشقى الأمين وتغريب وتنكيد

---

(١) المناجيد : الشجعان السباقون إلى النجدة
(٢) المستسر : المستتر ، أي القمر الذي لم يبد في مطلعه إلا أقله

رســـالة الله لو حلت على جـــبل　　لاندك منهـا وأضـحى بطن أخـدود[١]
ولـو تحــملهـا بحـرٌ لشب لظى　　وجف وانهـال فـيـه كل جلمـود[٢]
فليس بدعـاً إذا ناءَ الصـفيُّ بهـا　　وبات في ألم منهـا وتسـهـيـد
ينوي التـرحُّل عن أهلٍ وعن وطنٍ　　وفي جـوانحـه أحـزان مكبـود
يـكادُ يمكثُ لـولا أن تداركـهُ　　أمـر الإله لأمـر منه مـوعـود

* * *

فـإذ غـلا القـومُ في إيذائه خطلا　　وشـردوا تابعـيـه كل تشـريد[٣]
دعـا الموالين إزمـاعـاً لهـجـرته　　فلم يجـبـه سـوى الرهط الصناديد
مـضى هو البدُ، والصديق يصحبهُ　　يغامـر الحزن في تيـهاء صيخـود[٤]
مـوليـاً وجـهـه شطر المدينة في　　ليل أغـر على الأدهار مـشـهـود
حـتى إذا اتخـذ الغـار الأمين حـمى　　ونام بين صـفـاه نوم مـجـهـود[٥]
حـمـاه وشيٌ ببـاب الغـار منسدلٌ　　من الألى هـددوه شـر تـهـديد[٦]
ياللعـقـيـدة والصديق في سـهـر　　تؤذيه أفـعى ويبكي غـيـر منجـود[٧]
إن العـقـيـدة إن صـحت وزلزلهـا　　مفتي القرى فهي حصن غير مهدود
أمـا الصحاب الذين استأخروا قتلوا　　سارين في كل مسرى غير مرصود
مـاجُندُ قيصر أو كسرى إذا افتخروا　　كـهـؤلاء الأعـزاء المطاريد[٨]
كـأنهم في الدُجى، والنجمُ شـاهدهم،　　فـرسـان رؤيا لشأن غـيـر مـعـهـود
كـأنهم وضـيـاءُ الصبح كـاشـفـهم　　آمـال خـيـر سـرت في مـهـجـة البـيـد
في حـيطة الله مـاشـعـت أسنتـهم　　فـوق الطلال على المهـرية القـود[١]

---

(١) الأخدود : الشق في الأرض
(٢) الجلمود : الصخر
(٣) الخطل : فساد العقل
(٤) تيهاء : أرض يتيه فيها السالك ، صيخود : شديد الحر
(٥) الصفا : الحجارة
(٦) إشارة إلى مانسج العنكبوت ببابه فضلل المتعقبين الباحثين عنه
(٧) منجود : مكروب مغموم
(٨) المطاريد : فرسان الطراد والحرب

عانى «محمد» ماعانى بهجرته ... لمأرب في سبيل الله محمود
وكم غزاة وكم حرب تجشمها ... حتى يعود بتمكين وتأييد
كذا الحياة جهاد، والجهاد على ... قدر الحياة ، ومن فادى بها فودي
أدنى الكفاح كفاح المرء عن سفه ... للاحتفاظ بعمر رهن تحديد
ليغنم العيش طلقا كل مقتحم ... وليبغ في الأرض شقا كل رعديد
ومن عدا الأجل المحتوم مطلبه ... عدا الفناء بذكر غير ملحود

* * *

لقد علمتم ، وما مثلي ينبئكم ... لكن صوتي فيكم صوتي ترديد
ماأثمرت هجرة الهادي لأمته ... من صالحات أعدتها لتخليد
وسودتها على الدنيا بأجمعها ... طوال ماخلقت فيها بتسويد[1]
بدا وللشرك أشياع توطده ... في كل مسرح باد كل توطيد..
والجاهليون لايرضون خالقهم ... إلا كعبد لهم في شكل معبود
مؤلهون عليهم من صناعتهم ... بعض المعادن أو بعض الجلاميد[2]
مستكبرون أبة الضيم غر حجى ... ثقال بطش لدان كالأماليد[3]
لاينزل الرأي منهم في تفرقهم ... إلا منازل تشتيت وتبديد
ولايضم دعاء من أوابدهم ... إلا كما صيح في عفر عباديد[4]
ولايطيقون حكما غير ماعقدوا ... بلذي لواء على الأهواء معقود
بأي حلم مبيد الجهل عن ثقة ... وأي عزم مذل القادة الصيد
أعاد ذاك الفتى الأمي أمته ... شملا جميعا منالغر الأماجيد[5]
لتلك تالية الفرقان في عجب ... بل آية الحق إذ ينغي بتأكيد

---

(١) خلقت : جدرت واستحقت
(٢) الجلاميد : الصخور
(٣) لدان : جمع لدن، وهو اللين . الأماليد : جمع أملود ، وهو الغصن اللين
(٤) العفر : جمع أعفر ، وهو الظبي ، عباديد : متفرقة
(٥) الأماجيد : الأماثل من ذوي المجد

صعبان راضهما : توحيد معشرهم، وأخذهم بعد إشراك بتوحيد
وزاد في الأرض تمهيدا لدعوته بعهده للمسيحيين والهود
وبدئه الحكم بالشورى يتم به ماشاءه الله عن عدل وعن جود
هذا هو الحق والإجماع أيده فمن يفنده أولى بتفنيد[1]
أي مسلمي « مصر » إن الجد دينكم وبئس ماقيل : شعب غير مجدود[2]
طال التقاعس والأعوام عاجلة والعام ليس إذا ولى بمردود
هبوا إلى عمل يجدي البلاد فما يفيدها قائل : ياأمتي سودي
سعيا وحزما، فود العدل ودكم وإن رأى العدل قوم غير مودود
لاتتعبوا، لاتملوا، إن ظمأتكم إلى غدير من الأقوام مورود
تعلموا كل علم وانبغوا وخذوا بكل خلق نبيه أخذ تشديد
فكوا العقول من التصفيد تنطلقوا وما تبالون أقداما بتصفيد[3]
« مصر » الفؤاد فإن تدرك سلامتها فالشرق ليس وقد صحت بمفؤود[4]
الشرق نصف من الدنيا لا عمل سوى المتاع بما يضنني وما يودي[5]
والغرب يرقى وما بالشرق من همم سوى التفات إلى الماضي وتعديد
تشكو الحضارة من جسم أشل به شطر يعد وشطر غير معدود

* * *

أبناء « مصر » عليكم واجب جلل لبعث مجد قديم العهد مفقود
فليرجع الشرق مرفوع المقام بكم ولتزه « مصر » بكم مرفوعة الجيد
ماأجمل الدهر إذ يأتي وأربعنا حقيقة الفعل والذكرى بتمجيد
والشرق والغرب معوانان قد خلصا من حاسد كائد كيدا لمحسود

---

(١) التفنيد : التخطئة والتكذيب
(٢) مجدود : محظوظ مسعد
(٣) التصفيد : التقييد
(٤) المفؤود : المصاب فؤاده
(٥) يودي : يهلك

صنوان بران في علم وفي عمل ... حران من كل تقييد وتعبيد
لافعل يخطئ فيه الخير بعضهما ... إلا تداركه الثاني بتسديد
ولاخصومة إلا في استباقهما ... لما يعم بنفع كل موجود

* * *

هذي الثمار التي يرجو الأنام لها ... من روضكم كل نام ناضر المود
لمصر والشرق بل للخافقين معا ... دعم زعم كل عدو الحق مريد(١)
جوزوا على بركات الله عامكم ... فقد تبدل منحوس بمسعود
رجاؤكم أبدا ملء النفوس، فما ... ينفي بجسنى ولا يوهي بتهديد(٢)
بدا الفلاح، وفي هذا الهلال لكم ... بشرى التمام لوقت غير ممدود
غدا نرى البدر في طرس السماء محا ... بخاتم النود زلات الدجى السود(٣)

* * *

---

(١) الخافقان : الشرق والغرب . مريد : خبيث شرير
(٢) الحسنى : المعاملة الطيبة ، يوهي : يضعف
(٣) زلات : سقطات وعثرات

من قصيدة الطين
لإليا أبي ماضي

نسي الطين ساعة أنه طين ... حقير فصال تيها وعربد

وكسى الخز جسمه فتباهى ، ... وحوى المال كيسه فتمرد

ياأخي لاتمل بوجهك عني، ... ما أنا فحمة ولا أنت فرقد

أنت لم تصنع الحرير ... تلبس واللؤلؤ الذي تتقلد

أنت لاتأكل النضار إذا ... ولا تشرب الجمان المنضد

أنت في البردة الموشاة مثلي ... في كسائي الرديم تشقى وتسعد

لك في عالم النهار أماني، ... وروءى والظلام فوقك ممتد

ولقلبي كما لقلبك أحل ... م حسان فإنه غير جلمد

* * *

أأماني كلها من تراب ... وأمانيك كلها من عسجد ؟

وأماني كلها للتلاشي ... وأمانيك للخلود المؤكد ؟

لا. فهذي وتلك تأتي وتمضي ... كذويها . وأي شيء يؤبد ؟

أيها المزدهي، إذا مسّك السقم ... ألا تشتكي ؟ ألا تتنهد ؟

ؤذا راعك الحبيب بهجر ... ودعتك الذكرى ألا تتوجد ؟

أنت مثلي يبش وجهك للنعمى ... وفي حالة المصيبة يكمد

أدموعي خلٌ ودمعك شهد ؟ ... وبكائي ذلك ونوحك سؤدد :

وابتسامي السراب لاري فيه ؟ ... وابتساماتك اللآلي الخرد ؟

فلك واحد يظل كلينا ... حار طرفي به وطرفك أرمد

قمر واحد يطل علينا ... وعلى الكوخ والبناء الموطد

إن يكن مشرقا لعينيك إني ... لاأراه من كوة الكوخ أسود
ألنجوم التي تراها أراها ... حين تخفي وعندما تتوقد
لست أدنى على غناك إليها ... وأنا مع خصاصتي لست أبعد

* * *

ألك القصر دونه الحرس الشا ... كي ومن حوله الجدار المشيد
فامنع الليل أن يمد رواقا ... فوقه، والضباب أن يتلبد
وانظر النور كيف يدخل ... لايطلب أذنا، فما له ليس يطرد ؟
مرقد واحد نصيبك منه ... أفتدري كم فيك للذر مرقد ؟
ذدتني عنه، والعواصف تعدو ... في طلابي ، والجو أقتم أربد
بينما الكلب واجد فيه مأوى ... وطعاما، والهر كالكلب يرقد
فسمعت الحياة تضحك مني ... أترجى ، ومنك تأبى وتجحد
ألك الروضة الجميلة فيها ... الماء والطير والأزاهر والند ؟
فازجر الريح أن تهز وتلوي ... شجر الروض - إنه يتأود
والجم الماء في الغدير ومره ... لايصفق إلا وأنت بمشهد
إن طير الأراك ليس يبالي ... أنت أصغيت أم أنا إن غرد
والأزاهير ليس تسخر من فقري ... ولافيك للغنى تتودد

* * *

ألك النهر ؟ إنه للنسيم الرطب ... درب وللعصافير مورد
وهو للشهب تستحم به ... في الصيف ليلا كأنها تتبرد
تدعيه، فهل بأمرك يجري ... في عروق الأشجار أو يتجعد ؟
كان من قبل أن تجيء ، وتمضي ... وهو باق في الأرض للجزر والمد
ألك الحقل ؟ هذه النحل تجني الـ ... شهد من زهره ولا تتردد
وأرى للنمال ملكا كبيرا ... قد بنته بالكدح فيه وبالكد

أنت في شرعها دخيل على الحقل ولص جنى عليها فأفسد
لو ملكت الحقول في الأرض طرا لم تكن من فراشة الحقل أسعد
أجميل ؟ ماأنت أبهى من الور دة ذات الشذى ولا أنت أجود
أم عزيز ؟ وللبعوضة من خديك قوت، وفي يديك المهند
أم غني ؟ هيهات تختال لولا دودة القز بالحباء المبجد
أم قوي ؟ إذن مر النوم إذ والليل عن جفونك يرتد
وامنع الشيب أن يلم بفوديك ومر تلبث النضارة في الخد
أعليم ؟ فما الخيال الذي يطرق ليلا؟ في أي دنيا يولد ؟
ما الحياة التي تبين وتخفي؟ ما الزمان الذي يذم ويحمد ؟

* * *

أيها الطين لست أنقى وأسمى من تراب تدوس أو تتوسد
سدت أو لم تسد فما أنت إلا حيوان مسير مستعبد
إن قصرا سمكته سوف يندك، وثوبا حبكته سوف ينقد
لايكن للخصام قلبك مأوى إن قلبي للحب أصبح معبد
أنا أولى بالحب منك وأحرى من كساء يبلى ومال ينفد

* * *

خلاصة البحث

أخذ مصطلح الأدب الإسلامي طريقه إلى ساحه الواقع الأدبي ، وأصبح له مكانه ومكانته على الرغم مما يواجهه من مواجهات بل حروب بعضها خفي وبعضها معلن .

وقد تعددت تعريفات هذا المصطلح مابين تعريف موجز وتعريف مفصل، ولكنها جميعا تلتقي وتتفق على مايأتي :

١ - إطلاق التعددية الموضوعية للأدب الإسلامي فلا تحديد لموضوعات خاصة به .

٢ - إطلاق تعدد الأشكال التعبيرية من شعر نثر وقصة وملحمة ...

٣ - انطلاق هذا الأدب من التصور الإسلامي والرؤية الإيمانية الصادقة السوية .

٤ - مسلمية المبدع فلا يكون الأدب اسلاميا إلا إذا كان المبدع مسلما .

وهذه الخطوط الرئيسية هي الثوابت التي لايختلف عليها أو فيها أحد . وإن كان هناك خلاف في التفصيلات أعتبره في ذاته ظاهرة صحية . مؤمنا بأن الإبداعات المتوالية هي التي تحدد التعريف المنشود بصورة عفوية غير مقصودة.

* * *

وكان علينا أن نقف وقفة متأنية أمام الأدب الآخر مثل الأدب الماركسي والأدب الوجودي والأدب المسيحي والأدب الصهيوني، وهي آداب تلتقي في النقاط الآتية :

١ - الانطلاق من تصورات مذهبية أو دينية لها ملامحها وأبعادها المعروفة على المستويات الفلسفية والاجتماعية والسياسية .

٢ - الانتشار الواسع والعمل على اختراق مجتمعات الآخرين بإعلام له

إمكانات ضخمة وخطط وتنظيمات تفيد إلى أقصى حد من كل جديد في عالم التقنية والإعلام .

٣ - ولاء المبدعين للمذهبية أو الدينية التي يعتنقونها، والتي تمثل نخاع هذه الآداب. وكثير من هؤلاء المبدعين رجال دين : قسس وحاخامات .

٤ - الحرص على تحقيق الهادفية أو الغائية من التأثير الديني والأيديولوجي في الآخرين وخصوصاً الشباب، فهي آداب ملتزمة « مبرمجة » إن صح هذا الوصف .

* * *

وقد ألمحنا إلى تأثير الدين المسيحي على آداب الغرب وأدبائه ، وخصوصاً المدرسة الكلاسيكية الجديدة أو مدرسة الإحياء الكاثوليكي التي أسسها « ت.س. اليوت » .

وكان لليازجيين في لبنان وغيرهم من رجال الدين بصمات مسيحية واضحة على آدابهم، ومن روادهم « خليل اليازجي » بمسرحيته الشعرية « المروءة والوفاء » . وفي مصرنشأ أدب قبطي عربي ابتداء من أواخر القرن الأول الهجري ، واستمرت مسيرته بل انطلاقاته حتى الآن معالجا كل الأجناس الأدبية شعرا ونثرا : مقالات ، وقصصا ، ومسرحيات وقصائد غنائية عدا الترنيمات المنظومة التي تنشد داخل الكنائس .

ومن أهم ملامح هذا الأدب المسيحي أو القبطي :

١ - الاعتزاز بالفرعونية : تاريخا وشخصيات وآدابا .

٢ - الدعوة إلى المحبة والاتحاد والتلاحم بين عنصري الأمة : المسلمين والأقباط . وإن رفع بعضهم دعوى مناقضة تحمل روح العداء والكراهية والمواجهة .

٣ - ظهور بصمات المسيحية في الأفكار والصور والألفاظ والتراكيب والإشارات التاريخية .

٤ - تأثر بعض شعرهم بالقوالب والألفاظ والصور القرآنية .

٥ - تدفق كثير من القصائد الشعرية برنة حزن عالية النبرة، تشي بشعور حاد بالقلق والغربة الروحية .

* * *

وخرجنا من وقفتنا مع الأدب الصهيوني بصفة خاصة بأنه أدب له كيانه وإمكاناته وملامحه التي تتلخص فيما يأتي :

١ - معايشة الواقع اليهودي والصهيوني قديما وحديثا تعبيرا عن الآلام واستشرافا لتحقيق الآمال .

٢ - النشأة الدينية ارتباطا بالتوراة والتلمود انطلاقا إلى تحقيق الأمل في أرض الميعاد أو الأرض الخالية » التي تتشوق إليهم لتعميرها .

٣ - الالتزام الشديد وهذا هو سر هيمنة الاتجاه الواقعي على الأعمال الأدبية الصادرة في إسرائيل .

٤ - العدوانية والعنصرية ارتكازا على أكذوبة معاداة الآخرين للجنس السامي .

* * *

وهذا الأدب الآخر يجعلنا شديدي الإيمان بأن « الأدب الإسلامي » الذي يتولاه مسلمون مخلصون عدول ضرورة من ضرائر المواجهة والتصدي لهذه الآداب المدمرة المخربة التي حاولت وتحاول اختراق المجتمعات العربية والإسلامية، ونجحت للأسف في هذا الاختراق إلى حد كبير .

* * *

ونحن حينما نشترط «مسلمية الأديب» للحكم بإسلامية أدبه نجد أنه اشتراط طبعي لاغرابة فيه :

١ - لأن الفصل بين الناص والنص مستحيل لأن الأخير نتاج الأول الذي تلون بلون عقيدته ومشاعره واتجاهه الفكري وطوابعه النفسية .

٢ - ولأن الأدب الإسلامي لاينطلق إلا من تصور إسلامي، وهذا التصور في صورته المثلى لايتوافر إلا للأديب المسلم .

٣ - وهناك الداعية التاريخية أو داعية الاستصحاب التاريخي .. فالأدب الإسلامي على مدار التاريخ لم يقم به إلا المسلمون .

٤ - وهناك الداعية النفسية : فنحن نعيش عصر الغربة والكربة وتصدي العالم الغربي الصليبي والصهيوني والإلحادي لحرب المسلمين وتحقير كل ماهو مسلم ومن هو مسلم ، لذلك يجب أن يثبت « المسلمون » وجودهم وهويتهم اعتزازا بالنسب الكريم« ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين » .

٥ - والواقع الأدبي الذي يسيطر عليه الحداثيون والعلمانيون والملاحدة لن يعتدل مساره إلا بقيام أدبنا الإسلامي والأدباء المسلمين بالتصدي له وتصفيته .

* * *

ومسلمية الأديب تقتضي أن يكون ملتزما بالمفهوم الصحيح السديد للالتزام : معتقدا وقولا وعملا وإبداعا اتساقا مع « التصور الإسلامي » الذي ينطلق منه الإبداع. هذا هو الأصل حتى يحكم على الأدب بأنه إسلامي .

والالتزام الإسلامي في الأدب ليس نوعاً من قابلية « أمر سيادي » أو أيديولوجية مذهبية وضعية » ، ولكنه استجابة طبيعية لصوت الفطرة الربانية التي فطر الله الناس عليها .. إنها فطرة الله ومن أحسن من الله فطرة ؟ والمسلم السوي التقي النقي يعيش ممتلئ النفس والعقل والوجدان بفيوض هذا الدين الذي أكرم الله به هذه الأمة، فالأديب المسلم حينما « يلتزم » في أدبه القيم العليا والخلق النبيل لايفعل ذلك بصورة « واعية متكلفة » بل ينطلق بصورة عفوية تلقائية لاتكلفه مجهودا ، ولاتقتضيه معاناة أو افتعالا، لأن طبيعة « المعين » الدافق في أعماقه لايسمح بغير ذلك . هذا هو الأصل ، وهذا هو الوضع الطبعي ، ومن ثم لايسأل الأديب المسلم « لماذا تلتزم » ؟ ولكن يُسأل أو يحاسب إذا مال - بعض الميل - عن ذلك الخط الرباني الكريم .

ولكن قد تثور مشكلة تطرح في السؤال التالي : ماحكم الأدب الذي توافرت له كل خصائص الأدب الإسلامي إذا لم يكن الأديب « المسلم » ملتزما سلوكيا .. ؟

وأرى في هذه المرحلة أن يصدق على هذا الأدب وصف الإسلامي من مسلمي « الهوية » لا وصف الأديب الإسلامي لأن غير هذا سيترتب عليه مشكلات متعددة شرحتها في صلب البحث .

* * *

أما الأدب ذو المواصفات الإسلامية الذي ينتجه غير مسلمين من أمثال طاغور وسينج وخليل مطران وإيليا أبي ماضي، فنحن لانستسيغ أن يوصف بأنه إسلامي، وقد اتخذ أوصافا أخرى ترددت في كتب النقاد والمنظرين الإسلاميين مثل الأدب الموافق، أو المساير، أو الملائم ... الخ ولكننا نرى أن أدق

التسميات هي ماهتدى إليه الأستاذ الناقد محمد عروي وهي « الأدب الكادي ».

وهذا المصطلح الجديد يتميز على غيره من الصفات الأخرى مثل : الموافق والموائم والملائم .. ومادار في فلكها بما يأتي :

١ - السهولة النسبية في نطقه، وخفته على اللسان، ومن ثم سهولة حفظه ونشره ، فهو أسهل من المعروضات الاصطلاحية السابقة مثل الأدب المساير، أو المقارب ، أو الموافق أو الموائم .. الخ .

٢ - أحادية المعنى والدلالة ، فالفعل «كاد» لايستعمل - على وجه التحديد إلا للمقاربة . ولايحتمل التأويل والخروج إلى معنى آخر شأن المشترك اللفظي .

٣ - ارتكاز المصطلح - عمليا - على واقع تاريخي تراثي كريم لاينكره أحد فشهادة النبي صلى الله عليه وسلم لأمية بن أبي الصلت جاءت في الروايتين بالنص الآتي :

- إن كاد ليسلم .
- قد كاد يسلم في شعره .

وكلتا الروايتين تؤكدان « المقاربة من إسلام الشاعر بإبداعه الشعري : فهو أدب كان يمكن أن يكون إسلاميا لو أن صاحبه كان مسلما ، يؤيد ذلك أغلب مانظمه شعرا، فقد عالج فيه معاني دينية فطرية، وحكما وقيما علوية جاء الإسلام وبشر بها .

وأنا أدعو الأدباء الإسلاميين أن يتبنوا هذا المصطلح الجديد لأنه أنسب من غيره مبني ومعنى، كما أنه يرتكز على مرجعية نبوية كريمة، وإن كنت أرى أن يقتصر هذا الوصف على أدب غير المسلمين الذي استكمل كل خصائص الأدب الإسلامي . ولا أميل إلى تعدية هذا الوصف إلى مثل هذا الأدب الناتج من « مسلمين » منحرفين أو غير ملتزمين من أمثال أبي نواس ونزار قباني لأن ذلك سيجرنا إلى مشكلات نحن في غنى عنها ، والانشغال بها سيهدر من الطاقات ما يجب أن يوجه للإبداع والتفكير ، ومن هذه المشكلات بل من أهمها تحديد "المعيار" الذي نحتكم إليه في الحكم على الأديب "المسلم هوية" بانحراف يحول شعره ذا المواصفات الإسلامية من شعر إسلامي إلى شعر كادي ، ولمن يكون مثل هذا الحكم ؟ وهل يكون لعرف البلد أو الأسرة والعادات والتقاليد التي

تختلف باختلاف الزمان والمكان ... هل يكون لكل ذلك دخل في إنشاء "الحكم" وتوجيهه ؟

وتأتي مشكلة المتابعة !! هل سنرصد عيونا لمراقبة الشاعر "المسلم" للخروج بنتيجة "المراقبة" التي تبرىء أو تدين !!

وغير ذلك مما فصلناه في صلب البحث ، أما معيار الدين " مسلم أم غير مسلم" ؟ فهو معيار محدد ، والوصول إليه لا يحتاج إلى مجهود .

وأكرر دعوتي إلى المشتغلين بالأدب الإسلامي إلى تبني هذا المصطلح الجديد **"الأدب الكادي"** دون أن نحجر على فكر أو رأي ، وعلينا جميعا أن نجتهد .. فقد يهتدي بعضنا إلى ما هو أحسن فيفوز بالأجرين إذا أصاب ، ويفوز بالأجر الواحد إذا أخطأ .

* * *

وقد يكون من تمام الفائدة أن نعرض في هذا الموجز قائمة المصطلحات التي يمكن توظيفها في مجال الأدب الإسلامي وهي :

١ - **الأدب الجاهلي :** كل ماصدر قبل الإسلام أيا كان مضمونه .

٢- **الأدب الفطري أو العفوي :** كل ماصدر من أدب قبل الإسلام ويتفق في مضامينه مع التصورات والطوابع الإسلامية .

٣ - **أدب الأمة الإسلامية :** وهو كل التراث الأدبي للأمة الإسلامية على امتداد العصور ابتداء من بعث النبي - صلى الله عليه وسلم . بصرف النظر عن مضامينه ، ومدى اتفاقه أو مجافاته للتصورات الإسلامية .

ويمكن تقييد هذا الوصف فنقول أدب الأمة الإسلامية العربية - أدب الأمم الإسلامية غير العربية .... إلخ

٤ - **الأدب الإسلامي :** وهو كل ما صدر عن أديب مسلم متفقا مع التصور الإسلامي للكون والإنسان والحياة ، بصرف النظر عن عصر الأدب .

٥ - **الأدب الكادي :** وهو كل مايصدر عن أديب غير مسلم (ابتداء من عصر النبي - صلى الله عليه وسلم) ويتفق مع التصور الإسلامي .

٦ - **الأدب المباح :** وهو أي أدب لا يخالف التصور الإسلامي - وإن لم يلتزم به ، وذلك يتسع للأدب الجمالي المحض أو أدب التسلية والترويح عن النفس ، كالغزل العذري ، وبعض المدح والرثاء . ويسميه الأستاذ محمد قطب

الأدب المحايد ، ويعرفه بأنه الأدب الذي لايحمل سمات معينة تقربه من المنهج الإسلامي ، ولا يحمل كذلك سمات تصطدم بهذا المنهج ، وتسير منه في اتجاه مضاد .

٧ - **الأدب المجافي أو الساقط أو الخارج أو المارق :** وهو كل أدب يخالف صراحة التصور الإسلامي والقيم الإسلامية والطوابع الإنسانية ، ويسميه بعضهم بالأدب المكشوف ، وإن غلبت التسمية الأخيرة على الأدب الجنسي . والعقاد يسمى هذا اللون من الأدب الأدب الواقع ، أي الساقط .

٨ - **صفة الأديب الإسلامي :** لا يطلق هذا الوصف على أي أديب مسلم نظم قصيدة أو قصيدتين ، أو كتب قصة أو قصتين انطلاقا من التصور الإسلامي، ولكن يقتصر الوصف على من غلبت "الإسلامية" على إبداعه مثل عمر بهاء الدين الأميري ونجيب الكيلاني .

وتفاديا لإثارة الحساسيات التي نحن في غنى عنها ، لا داعي لأن نطلق صفة "أديب غير إسلامي" على مبدع يسير في الخط المناقض ما دام مسلما ولو "هوية" فقط ، بل نصرف الوصف إلى شعره ، فنصف شعره أو بعضه بأنه "خارج" أو ساقط أو مجاف للإسلام .. إلخ وحسابه على الله .

* * *

وآمل أن أكون قد وفيت بما أردت أو ببعض ما أردت ، وآمل ألا أكون قد جانبني الصواب فيما قدمت .

وأفوض أمري إلى الله إن الله بصير بالعباد ،

والله ولي التوفيق

د. جابر قميحة

المراجع

١ - الأدب الإسلامي إنسانيته وعالميته : د .عدنان النحوي .
دار النحوي - الرياض - ١٤٠٧ - ١٩٨٧ .

٢ - الأدب الإسلامي بين إشكالية المصطلح ومعيارية التطبيق .
د. جابر قميحة (بحث نشر في مجلة الوعي الإسلامي (الكويتية) في العددين ٣٧٦ (إبريل ١٩٩٧) - ٣٧٧ (مايو ١٩٩٧) .

٣ - الأدب الصهيوني بين حربين : حزيران ١٩٦٧ - تشرين ١٩٧٣
د، ابراهيم البحراوي . المؤسسة العربية للدراسات والنشر بيروت ١٩٧٧ .

٤ - الأدب الصهيوني الحديث بين الإرث والواقع : جودت السعد
المؤسسة العربية للدراسات والنشر بيروت ط ١ - ١٩٨١

٥ - الأدب العربي بين الصدق الفني والأخلاقي : د. شوقي حمادة مكتبة النهضة المصرية - القاهرة (د. ت) .

٦ - الأدب القبطي قديما وحديثا : محمد سيد كيلاني
دار فرجاني القاهرة (د. ت)

٧ - الأديب وصناعته : دراسات في الأدب والنقد لعدد من النقاد الغربيين ، اختارها وترجمها : جبرا ابرهيم جبرا
المؤسسة العربية للدراسات والنشر . بيروت ط (٢) ١٩٨٣

٨ - أدب ونقد : محمد المجذوب
نادي المدينة الأدبي ط (١) ١٤٠٨ - ١٩٨٨

٩ - الأساطير : د. أحمد كمال زكي
سلسلة المكتبة الثقافية رقم ١٧٠ - القاهرة

١٠- أسد الغابة في معرفة الصحابة : عز الدين بن الأثير
دار الشعب . القاهرة (د . ت) .
١١- الإسلامية والمذاهب الأدبية : نجيب الكيلاني
مؤسسة الرسالة - بيروت ط (٢) ١٤٠١ - ١٩٨١
١٢ - إشكالية الإندماج الطائفي في شعر يهود الشرق في اسرائيل :
د . جمال أحمد الرفاعي . مجلة عالم الفكر الكويتية المجلد ٢٤ - العدد ٣ يناير ١٩٩٦ .
١٣- الأغاني : لأبي الفرج الأصفهاني : علي بن الحسين بن محمد القرشي
تحقيق ابراهيم الإبياري - دار الشعب - القاهرة (د . ت)
١٤- الإلتزام في الأدب الإسلامي : د. محمد مصطفى هدارة
بحث نشر ضمن بحوث ندوة الأدب الإسلامي المنعقدة في الرياض بتاريخ ١٤٠٥/٧/١٦ .
١٥ - إيليا أبو ماضي شاعر التساؤل والتفاؤل : إيليا حاوي من سلسلة الشعر العربي المعاصر - دار الكتاب اللبناني بيروت ط (٣) ١٩٨١
١٦ - بين الكتب والناس : عباس محمود العقاد
دار الكتاب العربي بيروت ط (١) - ١٩٦٦
١٧- ترنيمات روحية (شعر) كنيسة الإخوة - القاهرة ١٩٦٦
١٨- ثقافة الأسئلة : عبد الله الغذامي
النادي الأدبي بجدة - ط (١) - ١٩٩٢
١٩- جاهلية القرن العشرين : محمد قطب
دار الشروق - القاهرة ١٤٠٩ - ١٩٨٩
٢٠ - الجمالية الماركسية : هنري أورفون - ترجمة جهاد نعمان
دار عويدات - بيروت - ط (١) ١٩٧٥
٢١- جوته والعالم العربي : كاتارينا مورن - ترجمة عدنان عباس
العدد ١٩٤ من سلسلة عالم المعرفة - الكويت فبراير ١٩٩٥
٢٢ - خصائص التصور الإسلامي : سيد قطب
طبعة الاتحاد الإسلامي العالمي للمنظمات الطلابية ١٩٧٨

٢٣- الخطيئة والتكفير : عبد الله الغذامي
النادي الأدبي بجدة ط (١) ١٩٨٥
٢٤- خواطر شاعرية في المزامير السنية
د . زكريا عوض الله ابراهيم - كنائس الإخوة - القاهرة (د. ت)
٢٥- الدرامات الشعرية : أحمد محمد مظهر
مجلة أبولو . القاهرة . نوفمبر ١٩٣٤
٢٦- ديوان الخليل : الجزء الثاني : خليل مطران
دار الكتاب العربي . بيروت ط (٣) ١٩٦٧
٢٧- سارتر والوجودية : د. مصطفى غالب
دار مكتبة الهلال . بيروت ١٩٨٦
٢٨- ساعات بين الكتب : عباس العقاد
٢٩- السيرة النبوية لابن هشام : أبي محمد عبد الملك بن هشام بن أيوب
مصطفى البابي الحلبي القاهرة ط (٢) ١٣٧٥ - ١٩٥٥
٣٠ - الشامل : معجم في علوم العربية ومصطلحاتها
محمد سعيد اسبر وبلال جنيدي - دار العودة - بيروت ط ٢٠) ١٩٨٥
٣١- الشخصية العربية في القصة العربية القصيرة المعاصرة (١٩٤٨) - ١٩٦٧)
د.محمود حميده (مجلة عالم الفكر الكويتية - المجلد ٢٤ - العدد ٣ - يناير ١٩٩٦)
٣٢ - شرح ديوان أمية بن أبي الصلت : سيف الدين الكاتب وآخر - مكتبة الحياة - بيروت (د.ت)
٣٣- الشعر العربي المعاصر : قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية . د. عز الدين إسماعيل ، دار الفكر العربي القاهرة ط (٣)
٣٤- الشعر والشعراء : ابن قتيبة : أبو محمد عبد الله بن مسلم
تحقيق وشرح أحمد محمد شاكر . دار التراث العربي . القاهرة ط (٣) ١٩٧٧
٣٥ - صحيح البخاري بشرح فتح الباري لابن حجر العسقلاني
ط (١) الدار السلفية - القاهرة (د.ت)

٣٦- الصهيونية غير اليهودية : جذورها في التاريخ الغربي : ريجينا الشريف
ترجمة أحمد عبد الله عبد العزيز (رقم ٩٦ من عالم المعرفة - الكويت - ديسمبر ١٩٨٥)
٣٧- طبقات فحول الشعراء : محمد بن سلام الجمحي
شرح محمود محمد شاكر - مطبعة المدني - القاهرة (د.ت)
٣٨- الظاهرة الجمالية في الإسلام : صالح أحمد الشامي
المكتب الإسلامي : بيروت ط (١) ١٤٠٧ - ١٩٨٦
٣٩- في الأدب الإسلامي تجارب ومواقف : د. محمد الهاشمي
دار القلم - دمشق ١٤٠٧ - ١٩٨٧
٤٠- في الأدب الإسلامي المعاصر : دراسة وتطبيق : محمد حسن بريغش
مكتبة المنار - الزرقا - الأردن ط (٢) ١٤٠٥ - ١٩٨٥
٤١- في الأدب والأدب الإسلامي : محمد الحسناوي
المكتب الإسلامي - بيروت ١٤٠٦ - ١٩٨٦
٤٢- في التاريخ فكرة ومنهاج : سيد قطب
دار الشروق - القاهرة ١٩٨٩
٤٣ - في النقد الإسلامي المعاصر - د. عماد الدين خليل
مؤسسة الرسالة بيروت ط (٣) ١٤٠٤ - ١٩٨٤
٤٤- قاموس الكتاب المقدس : تأليف جماعة من اللاهوتيين
من منشورات مكتبة المشعل - بيروت ط (٦) ١٩٨١
٤٥- قراءة في نظرية الأدب الإسلامي : محمد إقبال عروي
مجلة الأدب الإسلامي - إصدار رابطة الأدب الإسلامي
٤٦- قضايا معاصرة في الأدب والنقد : د. محمد غنيمي هلال
دار نهضة مصر - القاهرة (د. ت)
٤٧- الكتاب المقدس : العهد القديم والعهد الجديد
طبعة جمعية الكتاب المقدس - القاهرة ١٩٥٦
٤٨- لباب النقول في أسباب النزول : للسيوطي : جلال الدين
عبد الرحمن بن أبي بكر : دار إحياء العلوم بيروت ط (١) ١٩٧٨

٤٩- اللزوميات (لزوم مالا يلزم) أبو العلاء المعري
مكتبة الخانجي - القاهرة ١٩٤٩
٥٠ - اللغة الثانية : فاضل ثامر
المكتب الثقافي العربي - بيروت ١٩٩٤
٥١- مجموعة قواعد الفقه : جمعها وعلق عليها السيد محمد عميم الإحسان
المجددي (كرتشي - باكستان) (د. ت)
٥٢ - مدخل إلى الأدب الإسلامي : د. نجيب الكيلاني
الدوحة قطر ١٤٠٧
٥٣- المدخل إلى القيم الإسلامية د. جابر قميحة
دار الكتاب المصري - اللبناني - القاهرة ط (١) ١٩٨٤
٥٤- المذاهب الأدبية والفنية عند العرب
د. شكري محمدعياد - الكويت سبتمبر ١٩٩٣
٥٥ - مذاهب فكرية معاصرة : محمد قطب
دار الشروق - القاهرة ط (١) ١٤٠٣ - ١٩٨٣
٥٦- المروءة والوفاء (مسرحية شعرية) خليل اليازجي
المطبعة الأدبية - بيروت ١٨٨٤ .
٥٧- المزامير : طبعتها بشكل مشطر دار الكتاب
المقدس THE BIBLE SOCIETY - القاهرة ١٩٩٥
٥٨- مصطلح الأدب الإسلامي : د. مرزوق بن صنيتان بن تنباك
(بحث نشر في الدارة السعودية - العدد ٣ السنة ١٨ - ربيع الآخر ١٤١٣) .
٥٩- معجم مصطلحات الأدب : د. مجدي وهبة
مكتبة لبنان - بيروت ١٩٧٤
٦٠- المعجم الوجيز ط (١) إصدار مجمع اللغة العربية بالقاهرة
٦١- المفردات في غريب القرآن : للراغب الأصفهاني
أبي القاسم الحسين بن محمد - المكتبة المرتضوية - طهران (د. ت)

٦٢- مفهوم الأدب الإسلامي وخصائصه : د. حسن الأمراني
(بحث مقدم إلى ندوة الأدب الإسلامي المنعقدة في جامعة عين شمس بالقاهرة ١١ - ١٣ شوال ١٤١٢) .

٦٣- الملامح العامة لنظرية الأدب الإسلامي :
د. الطاهر محمد علي . المكتب الإسلامي - بيروت ١٩٨٩

٦٤- ملحمة آلام المسيح (مسرحية شعرية) : د. عزت زكي
دار الثقافة - القاهرة ١٩٩٠.

٦٥- من قضايا الأدب الإسلامي - د. صالح آدم بيلو
دار المنارة جدة - ط (١) - ١٤٠٥ - ١٩٨٥

٦٦- منهج الفن الإسلامي : محمد قطب
دار الشروق القاهرة - ط (٧) - ١٤٠٨ - ١٩٨٧

٦٧- موت المؤلف : رولان بارت : ترجمة منذر العياشي
دار الأرض - الرياض ط (١) ١٤١٣

٦٨- موقف الأدب الإسلامي من المذاهب الأدبية المعاصرة
د. محمد مصطفى هدارة (بحث مخطوط قدم لندوة الأدب الإسلامي - كلية الآداب جامعة عين شمس من ١١-١٣ شوال١٤١٢) .

٦٩- نحو رؤية إسلامية للأدب : د. عبد الرحيم الرحموني
(الدارة عدد ٤ - السنة ١٩ - رجب ١٤١٤)

٧٠- نحو مذهب إسلامي في الأدب والنقد :
د. عبد الرحمن رأفت الباشا - جامعة الإمام محمد بن سعود الرياض - ١٤٠٥ - ١٩٨٥

٧١- نعم لمصطلح الأدب الإسلامي - د. جابر قميحة
الدارة - العدد الأول - السنة ٢٠ - شوال ١٤١٤

٧٢- النقد الأدبي الحديث : د. محمد غنيمي هلال
دار نهضة مصر - القاهرة ١٩٧٣

٧٣- يوميات : عباس محمود العقاد
المجلد الأول - دار المعارف - القاهرة ط (٣) ١٩٧٦

٧٤- يوميات : عباس محمود العقاد
المجلد الرابع - دار المعارف - القاهرة (د. ت)
٧٥- اليهود في تاريخ الحضارات الأولى : غوستوف لوبون
ترجمة : عادل زعيتر - مطبعة حجازي - القاهرة ١٩٥٠.

* * *

من الدوريات
١ - الحرس الوطني
٢ - الدارة
٣ - المجتمع
٤ - مجلة الأدب الإسلامي
٥ - المشكاة
٦ - الوعي الإسلامي

الفهرس

الصفحة